قواعد وأصول في جامعة الرسول

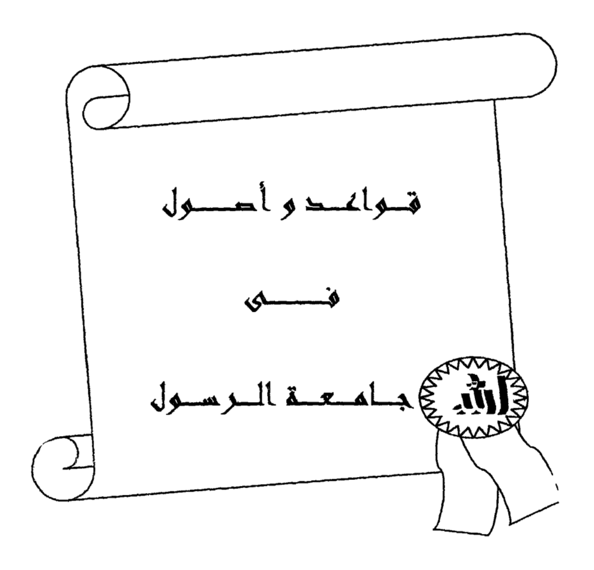
دكتور/ حسين عبد الحميد تركي
الأستاذ المساعد بكلية الدراسات الإسلامية
جامعة الأزهر - المنصورة

إهـــــــداء2005

الأستاذ الدكتور حسين عبد الحميد تركي

الإسكندرية

" وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى"



دكتور / حسين عبد الحميد تركى
الأستاذ المساعد ورئيس قسم الحديث
كلية الدراسات الإسلامية و العربية للبنات
جامعة الأزهر - المنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

مـــقـــدمـــــة

الحمد لله رب العالمين حمدا يوافى نعمه التى لا تعد و لا تحصى ، نحمده سبحانه وتعالى ونتوب اليه ونستغفره ونعوذ به من شرور انفسنا وسيئات أعمالنا من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلا هادى له ونشهد أن لا اله إلا الله وحده لاشريك له وأن سيدنا محمد عبده ورسوله إمام الدعاة وأستاذ الأساتذة ، خير من دعى إلى ربه على بصيرة وهدى " صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه واتباعه وأحبابه ومن أتبع هديه وسار على سنته الغراء وشريعته السمحاء وتوجيهاته النيرة المضيئة إلى يوم الدين ..

أما بعد

فأن سنة النبى(ﷺ) هى المصدر الثانى للتشريع بعد كتاب الله تعالى، وقد كان رسول الله (ﷺ) مصدر لتعليم آيات القرآن الكريم وتوضيح أحكامه ويوحى إليه بمعناه ويؤكد ذلك قوله تعالى (إن علينا جمعه وقرآنه . فأذا قرأناه فأتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه) [١]
وقال تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) [٢]
وقوله جل شأنه (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم ولعلهم يتفكرون) [٣]
قال عبد الرحمن بن هدى وغيره من العلماء المراد بالتبيين هنا السنة، وعليه فاءن العلماء قرروا أنه لاغنى للسنة عن القرآن ولا غنى للقرآن عن السنة وبعبارة أخرى فاءن السنة بالنسبة للقرآن كالمذكرة التفسيرية بالنسبة للقانون وقد عهد إليه ربه بالحفظ والرعاية والمعرفة وأمره أن يبلغ ذلك للناس قال تعالى (يا ايها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) [٤] ، كما عهد إليه أن يوضح ويشرح لأمته معانى آياته .

---

(١) سورة القيامة آية (١٧ ـ ١٩)
(٢) سورة الحجر آية (٩)
(٣) سورة النحل آية (٤٤)
(٤) سورة المائدة آية (٦٧)

ومن هنا أشاد القرآن الكريم إلى أن طاعته (ﷺ) هى طاعة لله وأن أمره جزء من أوامره سبجانه وتعالى فقال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظ) (٥)

وأن ما نهى عنه (ﷺ) هو ما نهى الله عنه فقال تعالى (وماءاتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (٦)

---

(٥) سورة النساء آيه (٨٠)
(٦) سورة الحشر آيه (٧)

وإن الاحاديث النبوية الشريفة التى يهتدى بها المسلم فى شئون دينه ويسترشد بها فى تصحيح عقيدته وأستقامة سلوكه هى من أصدق الكلام-بعد كلام الله عز وجل لأنه القائل فى حق صاحب الرسالة(ﷺ) (وما ينطق عن الهوى . أن هو إلا وحي يوحى)[١] وهو النور الذى يكشف للسالكين طريقهم فتنقشع به الظلمات وقد أمر الله عباده المؤمنين ان يردوا ما اختلفوا فيه إلى رسول الله (ﷺ) فقال " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله وباليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا "[٢] ورد الأمر إلى الله هو الرجوع إلى كتابه والرد إلى الرسول هو الرجوع أليه وإلى سنته بعد مماته ، وهذا الكتاب الذى بين ايدينا يتضمن طائفة جليلة من أقوال المصطفى (ﷺ)وأحاديث مختارة من أحاديثه الجامعة فى القضايا العقائدية والمسائل الفقهية وجوانب اخرى من الاداب والفضائل مما قررته وزارة الأوقاف على طلبة معاهد إعداد الدعاة . ولقد بذلت الجهد قدر طاقتى فى شرح هذه الحاديث وتقديمها بصورة سهلة ميسورة لإخوانى وأولادي من الدعاة ، وطريق الدعوة ليس مفروشا بالورود والمرسلين وعلينا أن نلتزم بالصبر ومواصلة الدعوة إلى الله . قال تعالى (قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين)[٣] وقوله جل شأنه " ولربك فأصبر "[٤] والآية العامه التى تبين منهج الدعوة هى قوله تعالى (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن أن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)[٥] ومن هذا المنطلق فإني قد شرحت هذه المجموعة من الأحاديث فى النقاط التالية:

١- تكلمت عن الراوي الاعلى للحديث بأسلوب مختصر .
٢ - وقفت مع كل حديث وقفة لغوية ميسورة وسهلة المنال .
٣ - ذكرت المعنى العام في كل حديث وتناولته بالشرح والتحليل .
٤ - بينت اهم ما يستنبط من الحديث من أحكام وقضايا .

---

(١) سورة النجم اية (٣ ، ٤)
(٢) سورة النساء اية (٥٩)
(٣) سورة يوسف اية (١٠٨)
(٤) سورة المدثر اية (٧)
(٥) سورة النحل اية (١٢٥)

٥ – حرصت على أن اكون بعيدا كل البعد عن الأسلوب الصعب الذى ينفر القارىء ويجعله لايستطيع تحصيل العلم والمذاكرة ، والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل . كما أسئله سبحانه وتعالى ان يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وان ينفع به القراء والدارسبين وان يجعله فى ميزان حسناتنا يوم الدين أنه على كل شىء قدير وبالإجابة جدير ، وَصلى الله على البشير النذير سيدنا محمد (ﷺ) .

قام باءعداده الفقير إلى عفو ربه

د / حسين عبد الحميد تركى

تنبيه وتمهيد

الأسلحة التى يجب أن يتسلح بها الداعية : قال على بن أبى طالب :

أخى لن تنال العلم إلا بستة سأنبئك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واصطبار ودرهم وصحبة أستاذ وطول زمان

وأنصح بهذا كل داعية يريد الله ورسوله (ﷺ) ويعمل تحت سماء النبوة الصافية فى رياض القرآن والسنة وأن يستحضر معه دائما فى كل لحظة قول الله عز وجل (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعفوا عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله) [١]
وكذلك قول الشافعى :

ليبلغ العلم جميعا أحدا لا ولو حاول ألف سنة
إنما العلم عميق بحره فخذوا من كل شيء أحسنه

وكذلك قولة :

اصبر على مر الجفا من معلم فاعن حصول العلم فى نفراته
ومن فاته التعليم وقت شبابه فكبر عليه اربعا لوفاته
حياة الغنى والله بالعلم والتقى إذا لم يكونا لااعتبار لذات

(١) سورة ال عمران ايه (١٥٩)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحديث الاول

أخرج الإمامان البخارى ومسلم (عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب(رضى الله عنه) قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول إنما الاعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى ؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ماهاجر اليه) .

(متفق عليه ـــ أخرجه الامامان البخارى ومسلم)

منزلة هذا الحديث من الدين :

لهذا الحديث منزلة كبيرة حتى قال بعض العلماء إنه ربع الدين وأضافوا اليه قوله (ﷺ) " ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فى ما فى ايدي الناس يحبك الناس " [١] ، وقوله (ﷺ) "الحلال بين والحرام بين ... الحديث" [٢] ، وقوله " دع ما يريبك إلى مالا يريبك " [٣] وعلى هذا فهذه الأحاديث الأربعة منظومة كبيرة يتكون منها الاسلام كله وقد جمع بعض الناس هذه الحاديث فقال :

عمدة الدين عندنا كلمات محكمات من كلام خيرالبرية
أترك المشبه وازهد ودع ماليس يعنيك واعملن بنية

ويقول الإمام الشافعى رحمة الله عليه : هذا الحديث يدخل فى سبعين بابا من أبواب العلم وإلى ذلك ذهب عبد الرحمن بن مهدى وغيره من العلماء .

تعليق: هذا الكلام بحق يتفق تماما مع منزلة هذا الحديث لكننى أقول أنه يمكن أن نعتبر هذا الحديث وحده هو الدين كله من حيث أن الاسلام جملة وتفصيلا لايخرج عن كونه " عزم على الفعل وهو النية ويأتى بعد ذلك العمل مترجما لما أضمره ألانسان ".

(١) اخرجه ابن ماجة
(٢) متفق عليه أخرجه الامامان البخارى ومسلم كما أخرجه الترمذى والنسائي وابن ماجه وأحمد والدرامى
(٣) أخرجه البخارى والترمذى والنسائى والدرامى

وقفة مع لغويات الحديث :

(إنما) : أداة حصر ومعلوم عند علماء اللغة أن ما إذا اتصلت بإن ألغت عملها فما بعدها يكون مرفوعاعلىأنه مبتدأ .
(الأعمال) : مبتدأ .
(بالنيات) : جار ومجرور شبه جملة فى محل رفع خبر وقال الأعمال ولم يقل الأفعال لأن العادة جرت على استخدام لفظ الأعمال في الأمور كلها منها اليومية والثانوية وغير ذلك بخلاف الأفعال فانها لا تستعمل إلا فى الأمور المهمة جدا قال تعالى " ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل " (١)
(النية فى اللغة) : القصد ، تقول نويت الشيء أى قصدته، وفى الشرع الحنيف قصد الشيء مقترنا بفعله ومن هنا يظهر لنا أن الصلة بين المعنى اللغوى والشرعى صلة وثيقة . وأما الجملة الثانية (وإنما لكل أمرىء ما نوى) فهى جملة تنزل من الأولى منزلة بيان الجزاء وأنه من جنس العمل .
قوله (مانوى) : ما : اسم موصول بمعنى الذى ، (نوى) : فعل ماض والفاعل ضمير مستتر تقديره هو ، والجملة لا محل لها من ألإعراب ، صلة الموصول والعائد محذوف تقديره هو يعود على (نوى) .
(امرىء) تشمل الذكر والأنثى ويجوز فيها ضم الراء وفتحها وكسرها .
(الهجرة) لغة الترك وشرعا الهجرة من دار الكفر إلى دارالإسلام فرارا بالدين وقد كانت الهجرة إلى المدينة تأخذ هذا الحكم حتى فتحت مكة فقال رسول الله (ﷺ) لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فنفروا " (٢) فهذا الحديث جعل الهجرة محددة موصولة إلى زمن الفتح ثم استبدالها بالجهاد فى سبيل الله .(فهجرته إلى الله ورسوله) وافقا فى جواب الشرط وقد اتحد الشرط والجواب وهو جائز عند بعض اللغويين وذلك فيما اراه يؤكد لنا بلاغة النبى (ﷺ) الذى اتاه الله جوامع الكلم كما أخبر بذلك عن نفسه فقد قال (ﷺ) " بعثت بجوامع الكلم " (٣).

---

(١) سورة الفيل ايه (١)

(٢) متفق عليه أخرجه الإمامان البخاري و مسلم كما اخرجه الترمذى و أحمد و الدرامى

(٣) متفق عليه أخرجه الإمامان البخاري و مسلم كما اخرجه الترمذى و النسائى و أحمد

(قوله الدنيا) : جار ومجرور فى محل نصب خبر كان ، وسميت بذلك لدنوها من الآخرة أى لقربها منها وهى مفرد وجمعها " دنى " وهى بمعنى العالم والعالم كما عرفه علماء العقيدة هو كل ما سوى الله عز وجل سواء كان من العالم الادنى او الاعلى .
(يصيبها) : فعل مضارع والهاء مفعول به وهى جملة صفة لدنيا ،
وأما عن ذكره المرأة بعد الدنيا مع انها داخلة فيها نجاوب عن ذلك بأن هذا من باب ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على اهميته وخطره ويظهر ذلك من قوله (ﷺ)

" ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء " (٤) وكذلك يكون الأمر فى المقابل " وما تركت فتنة بعدى أضر على النساء من الرجال " ومن هنا أؤكد على أن المرأة إذا صلحت صلح المجتمع كله وإذا فسدت فسد المجتمع كله كالقلب من الجسد .

---

(٤) متفق عليه أخرجه الإمامان البخارى ومسلم كما أخرجه الترمزى وابن ماجه واحمد

ترجمة الراوى الأعلى للحديث

كلمة قالها النبى عليه الصلاة والسلام فى عمر رضى الله عنه وهى كلمة لايقولها إلا عظيم عظماء خلق لسياسة الأمم وقيادة الرجال وهذه الكلمة هى " لم أرى عبقريا يفرى فرية " [١] ، قال عمر لمن هابوه وتحدثوا بخوف الناس منه " بلغنى أن الناس هابو ا شدتى وخافوا غلظتي وقالوا : قد كان عمر يشتد علينا ورسول الله (ﷺ) بين أظهرنا ثم اشتد علينا وأبو بكر والينا دونه ، فكيف مع رسول الله (ﷺ) كنت عبده وخادمه وكان من لا يبلغ أحد صفته من اللين والرحمة . وكان كما قال الله " بالمؤمنين رؤف رحيم " [٢] فكنت بين يديه سيفا مسلولا حتى يغمدني أو يدعنى فامضى .فلم أزل مع رسول الله (ﷺ)على ذلك حتى توفاه الله وهو عنى راض والحمد لله على ذلك كثيرا وانا به اسعد ثم ولى امر المسلمين أبو بكر ، فكان ممن لاينكرون وداعته وكرمه ولينه ، فكنت خادمه وعونه ، اخلط شدتي بلينه ، فأكون سيفا مسلولا حتى يغمدنى أو يدعنى فأمضى ، فلم أزل معه كذلك حتى قبضه الله عز وجل وهو عنى راض ، والحمد لله على ذلك كثيرا وأنا به أسعد . ثم أنى قد وليت أموركم أيها الناس فاعلموا أن تلك الشدة قد اضعفت [٣] ، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدى على المسلمين ، فاما أهل السلامة والدين والقصد فانا الين لهم من بعض لبعض ... "

(١) متفق عليه أخرجه البخارى ومسلم ، كما أخرجه الترمزى وأحمد
(٢) سورة التوبة اية (١٢٨)
(٣) أضعفت : زادت إضعافا

كان عمر يحب محمدا حب إعجاب ويؤمن به إيمان إعجاب ويستصغر نفسه إذا نظر إلى عظمة محمد . لقد كان يسمع وهو خليفة يقول كالساخر وما هو بساخر : بخ بخ (٤) يا ابن الخطاب . اصبحت أمير المؤمنين ! " وكان عمر يتصاغر لأنه يشعر بعظمته ويكبح ما يخامره من أعتداده بنفسه ومحال أن تمتلىء نفس بمثل هذه القوة ثم تخلوا من شعور بقوتها وأعتدادها بقيمتها .
كان يشير على النبى عليه الصلاة والسلام أن يحجب نساءه ، ويبلغ ذلك إحدى امهات المسلمين زينب فتقول له : إنك علينا يابن الخطاب والوحى ينزل علينا فى بيوتنا ! .. وتخرج إحداهن سودة وهى تحسب أن احدا لا يعرفها لاستتارها بالظلام فيعرفها بطول قامتها ويناديها " عرفتك ياسودة ! " ليؤكد ضرورة الحجاب فيؤمر المسلمون بعد ذلك الا يسألوهن إلا من وراء حجاب فقد علم سنة النبى مع " المؤلفة قلوبهم " ولم يغفل عن سببها وموقتها ، فهى سنة تطاع لحكمتها ولا توضع فى غير موضعها ، وليس على المسلمين حرج أن يختاروا للمؤلفة قلوبهم معاملة غير التى الفوها من صاحب الرسالة اذا تغيرت الحكمة وأختفت العلة واستغنى الإسلام عن ناصرين

---

(٤) بخ : كلمة تقال عند الرضى بالشيىء

تتألفهم العطايا والأنفال[١]. وهذه بعض المواقف من حياة الفاروق التى تدل على ان هذا الرجل يستحق لقب اعدل الناس فى الارض. وعمر لم يكن من المكثرين فى الرواية وذلك بأشتغالة بالخلافة وقد أشتهر بحديث " إنما الأعمال بالنيات " .

شرح الحديث :

هذا الحديث ينتظم [٢] ثلاث قواعد مهمة عليها يقوم بناء المجتمع المسلم أولها علاقة الأعمال بالنيات وهى ترتبط بها ارتباطا وثيقا ، فلا تصلح إلا بصلاحها ولا تسمو إلا بسموها ولا تقبل إلا بها ، إذا فسدت النيات فسدت الأعمال وإذا أردنا توضيح ذلك نرى منه أمثلة كثيرة منها :

١ ــ كالذى يسرق ليتصدق فهذا كالذى بنا قصرا وهدم مصرا وذلك لأنه اذا كانت الغاية نبيلة فأن الوسيلة من أكبر الكبائر ، والإسلام الصحيح يربط بين الوسائل والغايات . وليس صحيحا ما يقوله بعض الناس من أن الغاية تبرر الوسيلة ، فإذا كانت الصدقة في مقدمة الأعمال الصالحة فلا يصح ابدا أن يسرق الإنسان ليتصدق بما سرق .

٢ ــ ومن الناس من يصلى فريضة من الفرائض وليس له من نية إلا ابراء الذمة حتى تسقط عنه المطالبة فى الآخرة ومنهم من يصلى يقصد النجاة من النار والظفر بالجنة ونيل الثواب . ومنهم من يستولى عليه حب الله والرغبة فى مرضاته والتلذذ بمناجاته فيسارع إلى الصلاة لما يجد فيها حضور قلبه مع ربه . وأما الجملة الثانية وهى قوله (ﷺ) " وإنما لكل أمرىء مانوى " : ومعناها تأكيد لما بيناه فى الجملة الأولى وهو يكون على حد ما قال القائل :

على قدر أهل العزم تأتى العزائم ... وتأتى على قدر الكرام المكارم

وهذا متفق تماما مع قول الله عز وجل" كل نفس بماكسبت رهينة " [٣].وقوله **تعالى** " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره" [٤] .

---

(١) الأنفال : جمع نفل وهو الغنيمة

(٢) ينتظم : بمعنى يشتمل ويتضمن

(٣) سورة المدثر آية (٣٨)

(٤) سورة الزلزلة آية (٧، ٨)

وهذا يتضح لنا المعنى الصحيح للقاعدة الأولى والثانية وعندى أن الجملة الثانية مؤكدة للأولى ومقررة لها . وأما القاعدة الثالثة وهى قوله(ﷺ) " فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله

فهجرته إلى الله ورسوله ..." فإنها هى الأخرى تأتى فى غاية الأهمية ، ويعجبنى فى ذلك ماقال الإمام ابن رجب الحنبلي وهومن جهابذة علماء الحديث يقول رضى الله عنه ما خلاصته : إن الهجرة قصد كريم لعمل كريم وجهاد عظيم لغاية اعظم ومن هنا صدقت الجملة الأولى بجواب الشرط وجاء كفعل الشرط سواء بسواء تأكيدا للمعنى وبيانا لنبل الهدف الذى كانت الهجرة من أجله على عكس ما جاء فى الجملة الثانية فإن جواب الشرط جاء مبهما غير واضح وهو قوله :
" فهجرته إلى ما هاجر اليه " وكأنه فى الجملة الأولى يبين عظمة الهجرة وفى الجملة الثانية يبين حقارتها بناء على ما ترتبط كل هجرة من غاية وتحققها . والحديث من جوامع كلمه (ﷺ) هذا وقد حل الجهاد محل الهجرة والذى أراه ان الجهاد نوعٌ من ارقى انواع الهجرة

وخاصة في هذا العصر الحديث الذى ضعفت فيه الامة وهو كذلك مرهون بغايته يؤكد هذا المعنى قوله(ﷺ) حينما سأله احد الناس (يا رسول الله الرجل يقاتل للمغنم، و الرجل

يقاتل ليذكر [1] والرجل يقاتل ليرى مكانه، فأى ذلك فى سبيل الله ؟ فقال رسول الله(ﷺ) "

من قتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله) [2] . وقد تبين مما سبق أن ما كان خالصا لله سبحانه وتعالى فهو مقبول وأن ما كان رياء لا يقصد صاحبه إلا مراءاة للناس فهو مردود عليه وذلك مصداقالقوله تعالى : " فويل للمصلين* الذين هم عن صلاتهم ساهون* الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون " [3] فالمؤمن عليه أن يتجنب الرياء فى كل ما يعمل وهذا هو العمل الصالح الذى اشار اليه قوله تعالى ط فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عمل صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا " [4] وعلى الجانب الأخر فإنى أؤكد على ان الإسلام يحذر من الرياء بكل صوره، وذلك لقوله تعالى فى الحديث القدسى " أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك فيه غيرى تركته وشركه " والمؤمن يعيش بعمله بين خوف العقاب ورجاء الثواب فهو كالطائر جناحاه الخوف والرجاء ، وقد وضع القرآن الكريم قاعدة لذلك فقال تعالى : فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هى المأوى ، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى " [5]

---

(١) ليذكر : ليذكره الناس بالشجاعة
(٢) متفق عليه أخرجه البخارى ومسلم كما أخرجه النسائى واحمد
(٣) سورة الماعون آية (٦ ، ٧)
(٤) سورةالكهف آية (١١٠)
(٥) النازعات من اية (٣٧ ، ٤١)

مايؤخذ من الحديث :

١ –إن كل عملا لابد له من نية .
٢ – درجات الإخلاص تتفاوت وبقدر هذا التفاوت يكون الثواب والعقاب.
٣ – كل عمل يخالطه الرياء فهو مردود على صاحبه وقد تقدمت الأدلة على ذلك .
٤ – لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ولكن الهجرة لطلب الرزق وغيره من الأعمال المباحة أمر أقره الإسلام وعلى المؤمن فى كل أحواله أن يعلم أن الرزق والأجل أمران قد فرغ الله من تحديدهما. ويؤكد هذا قوله (ﷺ) فيماأخرجه الإمام مسلم " إن الله فرغ من آجال العباد و أرزاقهم قبل أن يخلق السماوات و الأرض بخمسين الف سنه و قوله (ﷺ) في الحديث المتفق عليه ـــ (اخرجه البخاري ومسلم وهو اعلى درجات الصحه) ـــ إن روح القدس نفث [٦] فى روعى أن نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب ، ولايحملن أحدكم استبطاء الرزق على أن يناله بمعصية الله فإن ما عند الله لاينال بمعصيته واعلم أن رزق الله لايسوقه إليك حرص ولا ترده عنك كراهية كاره "
٥– الغافل لاتكليف عليه لأن القصد يستلزم العلم بالمقصود والغافل غير عالم .

---

(٦) نفث : بمعنى القى فى قلبى وذلك نوعا من انواع الوحى

٦ ــ وجوب هجر ما نهى الله عنه لقول الرسول(ﷺ) عندما سئل " من المهاجر" ؟ فقال " المهاجر من هجر ما نهى الله عنه "[١] .

٧- من نوى فعل خير ولم يستطع فعله لأمر خارج عن إرادته جازاه الله سبحانه وتعالى بحسب نيته ويؤكد ذلك قوله(ﷺ) حينما رجع من تبوك " إن قوما بالمدينة ما قطعتم شعباولا سلكتم واديا الا كانوا معكم شاركوكم فى الأجر وحبسهم العذر "[٢].

٨ ــ صدقة السر أفضل لبعدها عن الرياء وقد تكون صدقة الجهر أفضل إذا كانت ممن يقتضى به ولا يخاف على نفسه الرياء ، قال (ﷺ)"صدقة السر تطفىء غضب الرب " [٣] ،وقال "يبعث المؤمن فى ظل صدقته يوم القيامة " هذا ومن السبع الذين يظلهم الله فى ظله يوم لاظل إلاظله رجا تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ما تنفق يمينه " [٤] ، وذلك كله موضوع تحت مؤشر خطيروقاعدة كبرى هى " إنما الاعمال بالنيات ".

وفى هذا القدر الكفاية وبالله التوفيق ومنه الهداية

---

(١) أخرجه البخارى والنسائى وابو داود و احمد
(٢) أخرجه البخارى و ابن ماجة
(٣)أخرجه الترمذى
(٤)متفق عليه أخرجه البخارى ومسلم ، كما أخرجه الترمذى و النسائى واحمد ومالك

الحديث الثانى

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه اثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى (ﷺ) فاسند ركبته إلى ركبتيه ووضع كعبه على فخذيه ثم قال يامحمد أخبرنى عن الإسلام فقال رسول الله (ﷺ)الإسلام أن تشهد أن لاإله ألا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا قال : صدقت فعجبناله يسأله ويصدقه قال : فأخبرنى عن الإيمان : قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال صدقت قال : فأخبرنى عن الأحسان قال :أن تعبد الله كأنك تراه فأن لم تكن تراه فإنه يراك قال : فأخبرنى عن الساعة قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل قال : فاخبرنى عن أماراتها قال : أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة الغراة العالة رعاة الشاة يتطاولون فى البنيان ثم انطلق فلبث مليا ، ثم قال ياعمر أتدرى من السائل قلت الله ورسوله اعلم ، قال هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم.(أخرجه مسلم والترمذى وابو داود وابن ماجه واحمد)

لغويات الحديث :

ـــ (جبريل) : مركبة من كلمتين : (جبرا) ومعناها حبيب و (إيل) معناها إله عز وجل والمعنى : حبيب الله .

ـــ (فاكتنفته أنا وصاحبى) : أحطنا به عن يمينه وعن شماله .

ـــ (الأمر آنف) : أمر مستأنف لم يسبق به القدر وكأن الله فى زعم هؤلاء لايعلم الأشياء إلا بعد وقوعها وقد ضل هؤلاء ضلالا كبيرا لأن علم الله صفة قديمة تنكشف بها الشياء قبل وقوعها وقد اتفق علماء أهل السنة على القول بقدم الصفات .

ـــ (إذ طلع) : إذ للمفاجأة رجل هو جبريل وعبر عنه بذلك لبيان الحال .

ـــ (لايرى عليه أثر السفر) : يرى : فعل مضارع مبنى للمجهول ، أثر : نائب فاعل.

ـ (تقيم الصلاة) : تؤدى الصلاة على وجهها الأكمل وذلك بإدامتها والمحافظة على الطهارة الكاملة والسنن والخشوع فيها .
ـ (تؤتى الزكاة) : تعطيها لمستحقيها .
ـ (تحج البيت) : تؤدى فريضة الحج إذا ملكت النفقة وتهيأت لك الأسباب .
ـ (البيت) الكعبة .
ـ (تؤمن بالقدر خيره وشره) : القدر فى اللغة التقدير وفى الشرع إيجاد الأشياء على وفق ما قضاه الله تعالى ، والمعنى أن يستيقن أن كل مايجرى فى الكون أنما هو بأمر الله عز وجل
ـ (الإحسان) استحضار القرب من الله تعالى فى العبادة وأنه بين يديه سبحانه كأنه يراه وكذلك النصح فى العبادة وبذل الجهد فى تحسينها وإتمامها وإكمالها .
ـ (أماراتها) : جمع أمارة وهى العلاقة والمراد علاماتها التى تسبق قيامها وتدل على قربه
ـ (أن تلد الأمة ربتها) : أى سيدتها فى رواية " ربها " اى سيدها.
ـ (الحفاة العراة العالة) : الحفاة جمع حاف وهو من لانعل في رجله .
العراة : جمع عار وهو من لاثياب على جسده .
العالة : جمع عائل وهو الفقير كثير العيال .
ـ (رعاة الشاة) :
رعاة : جمع راع وهو الحافظ .
الشاة : جمع شياة وهى واحدة الشياة
المراد : من لا شان له من الناس فى العادة .
ـ (يتطاولون فى البنيان) : يبنون الأبنية العالية تفاخرا ورياء .
ـ (فلبث مليا) : انتظرت وقتا طويلا .

شرح الحديث :

اشتمل هذا الحديث على عدة قضايا وهى عقيدة القضاء والقدر والإسلام والإيمان والإحسان وأمارات الساعة
وبالتأمل فى القضية الأولى يظهر لنا أن أناسا ظهروا بالبصرة يقولون بمسألة خطيرة فى القضاء والقدر وهى أن الله لايعلم الأشياء إلابعد وقوعها وقد أخبرابن عمر حينما سئل عن ذلك أن هؤلاء مجوس هذه الأمة وذلك عن رسول الله (ﷺ) وأنه من لقيهم من المسلمين وجب عليه أن يقتلهم وهذا يبين لنا أهمية القضاء والقدر وان الإيمان بهما جزء لايتجزء من الدين وذلك فى قوله (ﷺ) " وان تؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره " وذلك

مذهب أهل السنة وهو المذهب الصحيح الذى ألقى الله عليه والقدر والتقدير فى اللغة بمعنى واحد تقوى قدرات شيء قدرا وقدرا وقدرته تقديرا أذا دبرته بفكرك قبل إحداثه وأحط علما بمقاديره وحدوده التى سيكون عليها وأذا وصف به الله عز وجل كان علمه تعالى وإحاطته الأزلية بمقادير الأشياء وأحوالها التى ستكون عليها من مبدأ ونهاية وقوة وضعف وماتقع فيه من زمان ومكان ومايسبقها من مقدمات وما تبعها من اثار إلى غيرذلك بحيث يكون إيجادها بقدر على وفق ذلك العلم فلا يقع مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ألا مطابقا لما أحاط به علمه وسبق به كتابه وقد نطق بذلك القرآن الكريم فى أكثر من موضع ومن أصرح الآيات فيه :

قوله تعالى : " ما اصاب من مصيبة في الأرض ولا فيأنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها أن ذلك على الله يسير" [١] ومن أحسن الايات : " إنا كل شيء خلقناه بقدر " [٢] وفى سورة الملك " الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير " [٣] .

وليس معنى الإيمان بالقدر أنه إذا كانت السعادة والشقاوة والرزق والحرمان والنصر والهزيمة والصحة والمرض والحياة والموت كل أولئك سبق به الكتاب وجف عنه القلم وطويت عليه الصحف ولا تبديل لكلمات الله فلا فائدة إذا فى إتعاب النفس بالأعمال أن من زعم هذا فقد مزق معنى القدر فآمن ببعضه وكفر ببعضه ، ذلك أن الله تعالى علم الأشياء علم أسبابها ونتائجها وسائر أحوالها وظروفها وربط بعضها ببعض فى علمه ومجموع ذلك هو القدر فإذا علم الله أمرا يسر له أسبابه الموصله إليه فى علمه حتى يقع على الوجه الذى أعلم الله به النبى (ﷺ) وعندما سأل الرجل الرسول (ﷺ) فقال يارسول الله ففيم العمل إذن ؟ فقال (ﷺ) ان أهل الجنة ييسرون لعمل أهل الجنة وأن أهل النار ييسرون لعمل أهل النار " [٤] ،

---

(١) سورة الحديد اية (٢٢)
(٢) سورة القمر اية (٤٩)
(٣) سورة اللملك ءية (١٤)
(٤) اخرجه أبو داود واحمد

وقال :" اعملوا فكل ميسر لما خلق له " [٥] .

والأدلة على ذلك كثيرة جدا فى كتاب الله سبحانه وتعالى " فامشو فى مناكبها وكلوا من رزقه ..) [٦] ، وقال " ولكم فى القصاص حياة "[٧] ، إلى غير ذلك من النصوص الدالة على الأسباب لمقاصدها ونوط المقاصد بأسبابها وهذه سنة رسول الله قولية وعملية كلها ناطقة بإتيان البيوت من أبوابها وأخذها من أسبابها فقد لبس الدروع فى الحروب وحفر الخنادق واستعمل العيون والحراس واستظهر بالحلفاء واستعان بالأصحاب وتداوى وأمر بالتداوى وأمر بالسعى وكان يدخر لقوت أهله ما يكفيهم عاما وأمر بالاقتصاد وقال " أنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس " أخرجه الستة.

هذه هى عقيدة القدر كما فهمها الرسول (ﷺ) وهكذا فهمها الصحابة فقد قيل لعمر رضى الله عنه فى مسألة الطاعون : أفرارا من قدر الله ؟ فقال : نفر من قدر الله إلى قدر الله "

فلو كان عمر يفهم القدر كما عرفه الجهلاء لدخل قرية الطاعون وقال " لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا "

وسبب هذا الحديث أن الناس لما كثر سؤالهم رسول الله (ﷺ) ونهوا عن ذلك تحاشوا أن يسألوه فحضر جبريل عليه السلام على هذه الحال وسأل النبى (ﷺ) أمامهم عن أشياء هى جماع الدين فأفهمهم حقيقة الإسلام التى من أتى بها عد من المسلمين وكان له حكمهم فى الدنيا والأخرة ، ثم بين حقيقة الإيمان الذى من أتصف به نجا من عذاب الجحيم .

---

(٥) متفق عليه
(٦) سورة الملك آية (١٥)
(٧) سورة البقرة آية (١٧٩)

وحقيقة الإحسان الذى يرقى به المؤمن أعلى مراتب المقربين ، وكذا سأله عن الساعة ليقطع آمال الطامعين فى معرفة وقتها وبين له النبى (ﷺ) بعض الأمارات

عن عمر رضى الله عنه قال بينما نحن جلوس عند رسول الله ذات يوم اذا طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لايرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد قدم عمر رضى الله عنه هذا الكلام على أسئلة جبريل عليه السلام لبيان صفات هذا الرجل الغريبة حين جاء إلى النبى (ﷺ) فذكرمن صفاته أنه طلع عليهم بصفة رجل مجهول لهم

يلبس ثيابا شديدة البياض وهو مثل الشباب الذين يشتد سواد شعرهم ولم يروا عليه أثرا من أثار السفر ولا يعرفه منهم احد .

وفى رواية النسائى ما يفيد أن جبريل جاء فقال : السلام عليكم يا محمد فرد عليه ، فقال : ادنوا فقال : فمازال يقول : ادنوا ويقول مرارا له : ادنه حتى وضع يديه على ركبتى النبى (ﷺ) وقال : اى ذلك الرجل " يامحمد " ناداه باسمه كما يناديه اجلاف البادية لأنه

قصد إبهام امره على الحاضرين " أخبرنى عن الإسلام " أى حقيقته الشرعية قال النبى (ﷺ) " أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله "

أولهما النطق بالشهادتين ولا يقبل من أحد الدخول فى الإسلام إلا إذا نطق بها بنص الألفاظ الواردة فى الحديث .

وثانيهما : إقام الصلاة " وتقيم الصلاة " أى تأتى بها محافظا على أركانها وشروطها أو تلازم عليها وتستمر على فعلها " وتؤتى الزكاة " :أى تعطيها لمستحقيها أو للإمام " ، وتصوم رمضان " : والصوم لغة الإمساك وشرعا الإمساك عن المحظرات جميع النهار بنية ، وتحج البيت " الحج " لغة القصد وشرعا : قصد الكعبة للنسك ، وخص البيت لأنه المقصود بالذات وغيره تبع له ولا ينافى تلك حديث " الحج عرفة لأن المراد أن عرفة اعظم توابع المقصود .

" إن استطعت إليه سبيلا " السبيل الطريق الموصل إلى البيت وتكون الاستطاعة إليه بوجود الزاد والراحلة وامن الطريق وأمكان السير . فالإسلام يمثل الشكل العام الظاهرى لإسلام فالإسلام الانقياد فى الظاهر والقيام بهذه العبادات على الوجه الصحيح الذى أمر الله به ، وأما الإيمان فهو فى اللغة تصديق بالجنان ونطق باللسان وعمل بالأركان يغنى الجوارح فإن سألتنى يا أخى عن الفرق بين الإسلام والإيمان قلت لك أن رسول الله (ﷺ) قال " الإسلام علانية والإيمان فى القلب "[1]

ومما يؤكد ذلك دعائه (ﷺ) لقوله " اللهم من أحببته منا فأحيه على الإسلام ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان " [٢] ووصية يعقوب عليه السلام لبنيه " فلا تموتن الا وأنتم مسلمون "[٣]

(٢) أخرجه الترمزى وابن ماجه وأحمد
(٣) سورة البقرة آية (١٣٢)

والصلة بين الإيمان والإسلام كالصلة بين الروح والجسد ويؤكد هذا مجموعة من كلام النبى (ﷺ) قوله " بنى الإسلام على خمس شهادة لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .. إلى آخره" (١) وحديث " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده " (٢) .
وفى الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما " أن رجلا سأل النبى (ﷺ) اى الإسلام خير ؟ قال أن تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف " (٣)
وحديث " من حسن أسلام المرء تركه مالايعنيه " (٤) .
أما الإيمان فالأحاديث الدالة والموضحة له من السنة الشريفة كثيرة وعميقة المعانى وغزيرة الأفكار منها :" الإيمان بضع وسبعون شعبة ، اوبضع وستون شعبة فافضلها قول لاإله إلا الله وادناها أماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان " (٥) ، وأهمية الإيمان " ماسبقكم أبو بكر رضى الله عنه بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقد فى صدره " .
وقول المصطفى (ﷺ) " ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مماسواهما ، وأن يحب المرء لايحبه إلا لله ، وأن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار " (٦) ، وقول المصطفى (ﷺ) " لايؤمن أحدكم حتى أكون أحبه إليه من ولده ووالده والناس أجمعين " (٧) .

---

(١) متفق عليه أخرجه الإمامان البخارى ومسلم كما أخرجه النسائى وأحمد
(٢) متفق عليه أخرجه العمامان البخارى ومسلم كما أخرجه الترمذى وابو داود والنسائى وأحمد والدرامى
(٣) متفق عليه أخرجه الإمامان البخارى ومسلم كما اخرجه ابن ماجه وأبو داود والنسائى
(٤) اخرجه الترمزى وابن ماجه وأحمد ومالك
(٥) متفق عليه أخرجه الإمامان البخارى ومسلم كما أخرجه الترمذى وابن ماجه وابو داود والنسائى واحمد
(٦) متفق عليه أخرجه الإمامان البخارى ومسلم كما أخرجه الترمذى وابن ماجه والنسائى وأحمد
(٧) متفق عليه أخرجه الإمامان البخارى ومسلم كما أخرجه ابن ماجه والنسائى وأحمد والدرامى

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى (ﷺ) قال : من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن " (٨)

وعن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها عن النبى (ﷺ) قال : " أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا " (٩) ، وحديث حارثة المشهور أن

النبى (ﷺ) قال له ياحارثة كيف اصبحت مؤمنا حقا ، قال أنظر ماتقول ، فإن لكل قول حقيقة يارسول الله عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى وكأنى إلى عرش ربى بارزا ، وكأنى أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأنى أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها قال عرفت فإلزم " فالإيمان بالله هو التصديق بوجوده وبوحدانيته واتصافه بصفات الكمال وأنه ليس كمثله شيء . ومعنى الإيمان بملائكته التصديق بوجودهم وأنهم كما وصفهم الله عباد الله مكرمون " لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون " (١٠) ومعنى الإيمان بكتبه التصديق بأنها لكلام الله ووحيه أنزله على المصطفين من عباده ، وبان كل ماتضمنته حق ، ويصدق بعضها بعضا . ومعنى الإيمان باليوم الأخر ، التصديق بأنه سيقع وقد استأثرالله بعلمه والتصديق بما سيكون فيه من البعث والنشر والحشر والحساب والميزان والجنة والنار ونعيم الجنة والحور والولدان وعذاب النار والزبانية والسلاسل والأغلال ومعنى الإيمان بالقدر والتصديق بأن الله تعالى علم فى الأزل مقادير الأشياء وأزمانها وكتب ذلك عنده وأحصاه . والمراد بالقدر مايشمل القضاء قال عن القاموس القدر معركة القضاء والحكم .

وأنت يا أخى القارىء يظهر لك من هذه الإحاديث أن الصلة بين الإسلام والإيمان هى بحق كالصلة بين الروح والجسد . كما اشرت إلى ذلك أنفا ، والجانب العملى فى حياة المسلم له قيمته ومن هنا كان الفرق بين المسلم والمتمسلم الذى يعد مسلما بشهادة الميلاد وذلك حظه من الإسلام . وفى هذا الصنف من الناس يقول القائل :

أيا مسلما تدعى الإسلام مجانا   هلا أقمت على دعواك برهانا

واما عن الإحسان فهو جاء بعد الإسلام والإيمان وكأن هذا الحديث منظومة جمعت خيرى الدنيا والآخرة ، فيها يعيش المسلم سعيدا قرير العين فى الدنيا والآخرة لأنها تمثل الدين كله . والإسلام دين ودنيا وقد أخطىء الذين قالوا لاسياسة فى الدين ولا دين فى السياسة ، فالدين هو سياسة الحياة الناجحة وسياسة الحياةالناجحة هى الدين الصحيح وهوالذى جاء به الأنبياء جميعا إن الدين عند الله الإسلام

---

(٨) اخرجه الترمزى واحمد
(٩) اخرجه الترمزى وابو داود وأحمد والدرامى
(١٠) سورة التحريم اية (٦)

وقوله تعالى " شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه " (١) . ويأتى الاحسان بعد ذلك ليتوج هاتين القضيتين وهما قضيتى الإسلام والإيمان .

اما أمارات الساعة الصغرى رفع العلم وانتشار الجهل وقد ورد فى الصحيحين قوله (ﷺ) إن الله لايقبض العلم انتزاعا ينزعه من العباد ولكن يقبض العلم حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رءوسا جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا " (٢) ، وفى البزار أن رسول الله (ﷺ) قال " من أفتى بغير علم فقد ضل واضل " . ومن هنا تأتى أهمية العلم وأنه سيدفع بموت العلماء كذلك أن تكثر النساء وتقل الرجال حتى يكون للرجل الواحد خمسين أمرأة يقوم على شئونهن ، وايضا من علامتها شرب الخمر لقوله (ﷺ) " يشرب ناس من أمتى الخمر يسمونها بغير أسمها " (٣) ، وكذلك انتشارالزنا والفواحش وقوله (ﷺ) " يكثر الهرج قالوا وما الهرج يارسول الله قال القتل القتل " (٤) حتى لايدرى القاتل فيما قتل ولا المقتول فيم قتل .

وكان برسول الله (ﷺ) ينظر من وراء الحجب وقد طوى له الزمان فأخبرعن هذه الأمور وذلك كله مع قوله تعالى " وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى " (٥) ، حتى إن الوقت نفسه تنزع منه البركة فيقول (ﷺ) " لاتقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر ويكون الشهر كالجمعة وتكون الجمعة كاليوم ويكون اليوم كالساعة كاحتراق السعفة هى جريدة النخل (٦) .

---

(١) سورة الشورى اية (١٣)
(٢) متفق عليه أخرجه الإمامان البخارى ومسلم كما أخرجه الترمزى وابن ماجه وأحمد والدرامى
(٣) أخرجه النسائى وأبو داود فابن ماجه وأحمد
(٤) متفق عليه
(٥) سورة النجم اية (٣)
(٦) أخرجه الترمزى

مايستفاد من الحديث

١ــ بيان معنى الإسلام والإيمان والإحسان وإنها تكون الدين كله ، وبالدين تقوم العلاقة الصحيحة بين العبد وربه والعبد ونفسه وبين العبد وغيره من الناس وذلك كله لخصته التقوى في حديث سيدنا رسول الله (ﷺ) وهو " اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن "[١] .

٢ ــ تحسين الثياب والهيئة لدخول المسجد وحضور مجالس العلم وذلك يؤكده قوله تعالى " يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد "[٢]

وأخذ الزينة فى المجتمعات العامة له في الإسلام منزلته ومكانته .

٣ ــ التحلى بالشجاعة والتواضع فى طلب العلم إذلاينال العلم متكبر ولا جبان وقد وضع النبى (ﷺ) لنا برنامج لذلك فقال في الصحيح " من تواضع لله رفعه ومن تكبر على الله خفضه " وفى هذا يقول القائل :

تواضع تكن كالنجم لاح للناظر ... على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه ... إلى طبقات الجو وهووضيع

٤ ــ بيان ما ينبغي أن يكون عليه العلماء من سعة الصدر والوقوف بالإجابة عند حد علمهم وهذا خلق كريم يجب ان يتحلى به العلماء ، وقد قال مالك إذاترك العالم لا ادرى فقد أصيب فى مقتل ، وسعة الصدر ليس معناها إهانة العلماء أو التطاول عليهم فهم ورثة النبوة وحملة الوحى بعد الأنبياء .

٥ ــ على الأنسان ان يراقب الله تعالى فى السر والعلن وان يشعر دائما بأن الله مطلع عليه لا تخفى عليه خافيه في الأرض ولا فى السماء وفي هذا يقول القائل :

إذا ماخلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ... ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا شيء تخفيه عليه يغيب

(١) أخرجه الترمزى واحمد والدرامى
(٢) سورة الأعراف اية (٣١)

ويقول الأخر :

الله يعلم كل ماتضمن يعلم ماتخفى وما تظهر

وإن خدعت الناس لن تستطيع خداع من يطوى من ينشر

٦ ــ تنبيه العالم تلامذته إلى فوائد العلم وغرائب الوقائع لنفهم بها ويبين لهم الأسلحة التى لابد منها لطالب العلم ، والتى روت عن على بن أبى طالب وفيها يقول :

اخى لن تنال العلم إلا بستة سأنبئك عن تفصيلها ببيان

ذكاء وحرص واصطبار ودرهم وصحبة أستاذ وطول زمان

وفى هذا القدر الكفاية وبالله التوفيق ومنه الهداية

الحديث الثالث

عن أبي الوليد عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال " بايعنا رسول الله (ﷺ) على السمع والطاعة فى اليسر والمنشط والمكره وعلى اثره علينا وعلى أن لاننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله تعالى فيه برهان وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لانخاف فى الله لومة لائم "

(متفق عليه أخرجه الإمامان البخارى ومسلم ، كما أخرجه ابن ماجة واحمد ومالك)

الراوى الأعلى :

عبادة بن الصامت الأنصارى الخزرجى شهد عبادة رضى الله عنه العقبة الأولى والثانية مع رسول الله (ﷺ) وشهد بدرا واحدا والخندق وبيعة الرضوان وسائر المشاهد وكان أحد النقباء ليلة العقبة وكان نقيبا على قوافل بنى عوف بن الخزرج وآخى رسول الله (ﷺ) بينه وبين ابى مرثد الغنوى واستعمله النبى (ﷺ) على الصدقات وكان يعلم أهله الصفة القرآن ولما فتح الشام أرسله عمرومعه معاذ أو أبا الدرداء ليعلموا الناس القرآن والعلم .. روى له عن رسول الله (ﷺ) مائة وواحد وثمانون حديثاوعبادة بن الصامت بعد هذه المقدمة والتعريف به نرى أنه من الرعيل الأول وأصحاب رسول الله (ﷺ) هم حملة الوحى وأوعية القرآن وأساتذة الإسلام الأول ومن هنا يجب علينا أن ننزلهم المنزلة التى تليق بهم والنبى (ﷺ) يقول " نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم وأن نخاطبهم على قدر عقولهم " أبى داود .

لغويات الحديث

١ ــ المنشط والمكره : أى السهل والصعب.
٢ ــ الأثرة : وهو حب النفس وقد أبتعد الصحابة عن حب النفس ابتعادا كبيرا ولاسيما الأنصار حتى قال سبحانه وتعالى فيهم " ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون " (١)
٣ ــ بواحا : ظاهرا لايحتمل تأويلا وهو إنكار أمر معلوم من الدين بالضرورة أو إدعاء الشرك بالله أو غير ذلك والكفر هذا يكون كفر عقيدة قال بن عباس الكفر كفران ، كفر نعمة وذلك يكون بعدم شكرها وبمعرفة حق الله فيها وكفر العقيدة وهو المشار إليه أنفا وهو المقصود هنا فى الحديث .

---

(١) سورة الحشر ايه (٩)

شرح الحديث :

هذا الحديث يرسم لنا صورة حية من صدق أصحاب النبى (ﷺ) ووفائهم له وحرصهم الشديد على التضحية فى سبيل الله ، ومبادىء الإسلام تحتاج إلى قوم يعرفون المبادىء ويؤمنون بها ويلتزمون التزاما كبيرا بما يقولون ، فهم يعيشون على ما حد ما قال القائل

إذا قلت فى شيء نعم فأتمه	فإن نعم دين على الحر واجب
وإلا فقل لا تسترح وتروح بها	إلا يقول الناس إنك كاذب

والوفاء بالعهود من أهم الصفات التى تميز بها أصحاب رسول الله (ﷺ) وكذلك من التزم بمنهجهم فهم يبايعون رسول الله (ﷺ) على السمع والطاعة فى جميع أحوالهم من العسر واليسر وذلك لأنهم واثقون كل الثقة فى قوله تعالى " فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا " [1] . ولعلماء اللغة هنا قاعدة يقولون فيها أن النكرة إذا تكررت كانت الثانية غير الأولى بخلاف المعرفة فإنها إذا كررت كانت الثانية عين الأولى وعلى هذه القاعدة جاء قول المصطفى(ﷺ) " لن يغلب عسرا يسريين ، وقوله(ﷺ) لو دخل العسر جحرا لأدخل الله عليه اليسر حتى يخرجه " بهذه الروح العالية عاش أصحاب رسول الله (ﷺ) ، وفى الحديث قاعدة كبيرة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأساليب الناس تختلف فى هذا الأمر وحديث مسلم تكفل بشرح هذه القضية حيث قال (ﷺ) " من رأى منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان[٢]

قال الإيمان النووى : تغير المنكر باليد مهمة الحكام ، وتغيره باللسان مهمة العلماء وبالقلب مهمة العوام .
والذى لاشك فيه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لابد أن يكون قدوة لغيره حتى لايدخل تحت قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا لما تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون " [٣] .

---

(١) سورة الحشر آية (٥ ، ٦)

قوله " وأن لاننازع الأمر أهله " يعنى ألا نثير الفتن بين الناس وألا تنصرف قلوبنا إلى حب الدنيا فننازع الأمر أهله لكن أباح لنا الإسلام ذلك فى حالة واحدة وهى إذا رأينا من أولى الأمر كفرا صريحا عندنا فيه من الله برهان وذلك كأن ينكروا أمرا معلوما من الدين بالضرورة ففى هذه الحالة يكون الخروج عليهم أمرا واجبا إلا أن يرجعوا عن ذلك الكفر والمراد بالكفر هنا كفر العقيدة وليس كفر النعمة ولعله من المناسب هنا أن أذكر حديث أسامة حينما قتل رجلا بعدها قال لا إله إلا الله فقال له النبى (ﷺ) ياأسامة أقال لا إله إلا الله وقتلته ؟ قال قلت يارسول الله إنما قالها خوفا من السلاح قال أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا " (٤) . وهذا الحديث ربما كان قاعدة فى الحكم على المسلم بالكفر أو الإسلام وأننا نأخذ بالظاهر والله يتولى السرائر ، ومن هنا قال الإمام مالك رحمه الله : إذا رأيت الرجل أمام تسعه وتسعين بابا من أبواب الكفر وأمام باب واحد من أبواب الإيمان فأحكم له بالإيمان"

---

(٤) أخرجه مسلم وأبو داود وأحمد

و قوله (ﷺ) " أن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء " [١] .

وفى الحديث الثبات على قول الحق وألا نخشى فى الله لومة لائم ولكن يكون ذلك بالأسلوب الصحيح الذى يأخذ الناس إلى طاعة رب الناس قال تعالى " فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعفوا عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر " [٢] . وهذه الآية يجب أن تكون عنوان لكل داعية يريد الله ورسوله (ﷺ) .

ما يستنبط من الحديث:

١ ـ وجوب طاعة ولى الأمر فى غير معصية .
٢ ـ عدم الخروج على ولى الأمر إذا رأيناكفرا بواحا عندنا من الله فيه برهان هنا يكون نصا من الكتاب والسنة الشريفة .
٣ ـ قول الحق والتمسك به وإن كان مرا ويؤكد ذلك قوله (ﷺ) فى وصيته لأبى ذر " قل الحق ولو كان مرا قل الحق ولا تخشى فى الله لومة لائم " ، ففى الحديث المتفق عليه " بايعنا رسول الله (ﷺ) على السمع والطاعة فى المنشط والمكره وأن لاننازع الأمر أهله وأن نقول الحق حيثما كنا لانخاف فى الله لومة لائم " [٣] .
٤ ـ التواصى بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على أن يكون بالأسلوب الصحيح .
٥ ـ الصبر على جور السلطان خير من إثارة الفتن وهى كلمة تدل على فقه الإمام مالك إمام دار الهجرة والصبر هنا يكون على جور السلطان وليس على كفر السلطان .

وفى هذا القدر الكفاية وبالله التوفيق ومنه الهداية

(١) أخرجه الترمزى
(٢) سورة آل عمران آية (١٥٩)
(٣) متفق عليه

الحديث الرابع

عن أنس رضى الله عنه قال " قال رسول الله (ﷺ) ثلاث من أصل الإيمان الكف عن من قال لاإله إلا الله لا نكفره بذنب ولا نخرجه من الإسلام بعمل والجهاد ماض منذ بعثنى الله إلى أن يقاتل آخر أمتى الدجال لايبطله جور ولا عدل عادل والإيمان بالأقدار " أخرجه أبوداود بسند صحيح

الراوى الأعلى

أنس بن مالك خادم رسول الله(ﷺ) واحد من الأنصار ومن علماء الصحابة الأجلاء تحكى لنا أمه أم سليم قالت : قدم رسول الله (ﷺ) المدينة وكان أنس غلاما ذكيا فأتيت به إلى الرسول (ﷺ) وقلت يارسول الله ابني أنس يخدمك وهو غلام ذكى فادعوا الله له فقال النبى (ﷺ) اللهم بارك له فى ماله وبارك له فى ذريته وأطل عمره وحققت دعوات النبى (ﷺ) بالنسبة للمال كانت له حديقة تثمر له كل عام مرة فلما دعا له الرسول (ﷺ) كانت الحديقة تثمر له فى العام مرتين وأما البركة فى الذرية فيحدثنا عن ذلك أنس فيقول لقد رأيت من أولادى وأحفادى ما يقرب من ثلاثين أو أربعين ولدا كلهم يحفظون القرآن وأما عن طول العمر فكان أنس آخر الصحابة موتا بالبصرة وهو أستاذ مدرسة البصرة ، تخرّج على يديه كثيرون من التابعين من أهمهم الأمام حسن البصرى ومحمد بن سيدين وثابت البنانى : وهو من المكثرين فى رواية الحديث رضى الله عنه وأرضاه .

وقفة لغوية مع هذا الحديث :

قوله (ثلاث من أصل الإيمان) : ثلاث مبتدأ وهو نكرة ومعلوم عند علماء النحو أنه لايجوز الابتداء بالنكرة ولكنهم وصفوا لذلك شرطا ألا تفيد شيئا فإن أفادت جاز الابتداء بها ، قال ابن مالك فى ألفيته .

ولا يجوز الإبتداء بالنكرة مالم تفد كعند زيد نمرة

وجاز الإبتداء هنا لأن النكرة موصوفة بأنها من أصل الإيمان .

" من أصل الإيمان" يتبادر إلى الذهن أنها الأصول التى لابد منها لتحقيق لفظ الإيمان . والإيمان بصفة عامة له ثلاثة أركان وهى التصديق بالجنان والنطق باللسان ،والعمل بالأركان .

أما ثمرات الإيمان فليست داخلة فى أصل الإيمان وإنما هى من فروعه وتوابعه وهذه الخصال التى وردت فى الحديث إنما هى أصول اعتقادية بالدرجة الأولى وهى بذلك تشمل أركان الإيمان التى ذكرها النبى(ﷺ) فى قوله" الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره حلوه ومره" ــ سبق تخريجه ــ وهذه الأركان الستة كلها أركان اعتقادية لا تخرج عن ذلك ولعلها هى المذكورة فى قوله تعالى " الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون " [١] . والإيمان بالغيب هوالأساس الصحيح والصريح والواضح الذى يعد أصلا تنبثق منه شجرة الدين كلها والأصول التى ذكرها الحديث تبدأ بالكف عمن قال لاإله إلا الله ومعلوم أن مع كلمة التوحيد كلمة الشهادة للنبى (ﷺ) بالرسالة فمن قال لاإله إلا الله ولم يقل محمدا رسول الله لايقبل منه شيء وهذا يؤكده العهد الذى أخذه الله على الأنبياء وعلى الرسل فى قوله تعالى " وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما ءاتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدقا لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين "[٢] .

ثم أعود بعد ذلك إلى معنى الكف عمن قال " لاإله إلا الله وأرى أن تفسيرها جاء بعدها مباشرة وذلك قوله " لانكفره بذنب ولانخرجه من الإسلام بعمل وذلك إلا الشرك قال تعالى ". إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " [٣] وذلك لأنه حين إذن يكون قد أشرك مع الله غيره فيكون خارجا عن التوحيد الذى تضمنته لا إله إلا الله ولا نخرجه من الإسلام بعمل إلا إذا كان عملا من أعمال الشرك كالسجود للصنم وغير ذلك من الأعمال التى تؤكد الشرك ، ومع هذا فلابد من كلمة فى هذا المجال وهى أنه لايصح لمسلم أن يرمى مسلم بالكفر وذلك لقوله (ﷺ) " وإذا قال أحدكم لأخيه ياكافر فقد باء بها أحدهما " [٤] يعنى بذنب هذه الكلمة وقوله(ﷺ) " إذا قال الرجل لصاحبه ياكافر فإنها تجب على أحدهما فإن كان الذى قيل له كافر فهو كافر وإلا رجع إليه ماقال "[٥]

---

(١) سورة البقرة آيه (٣)

(٢) سورة آل عمران آيه (٨١)

(٣) سورة النساء آيه (٤٨)

(٤) متفق عليه أخرجه البخارى ومسلم كما أخرجه احمد ومالك

(٥) أخرجه احمد

وكذلك قوله (ﷺ) لأسامة حينما قتل الرجل بعدما قال لاإله إلا الله " أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا فما زال يكررها " أقتلته بعد أن قال لاإله إلا الله" حتى قال أسامة حتى تمنيت أنى أسلمت يومئذ [٦] ـــ أى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم ـــ . وقد أشرت إلى ذلك فى الحديث السابق وموقف عمر مع حاطب بن أبى بلتعة حينما أرسل حاطب إلى أهل مكة يخبرهم بقدوم رسول الله (ﷺ) وأنكشفت المؤامرة وأخبر الله نبيه (ﷺ) بذلك قال عمر " يارسول الله دعنى أضرب عنق ذلك المنافق" فقال نبى الرحمة دعه يابن الخطاب فلعل الله اطلع على أهل بدر فقال " اعملوا ماشأتم فقد غفرت لكم " .

ويرحم الله القائل :

عش مسلما ومن الذنوب محاذرا　　حاش المهيمن أن يكون عنيدا
لورام أن يصليك نار جحيمه　　ماكان ألهم قلبك التوحيد

(٦) أخرجه مسلم وابو داود وأحمد

الخصلة الثانية تتعلق بالجهاد : قوله (ﷺ) والجهاد ماض منذ بعثنى الله إلى أن يقاتل أخر أمتى الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل "(١). هذا هو الأصل الثانى الذى يؤكد منزلة الجهاد وأنه فريضة من الفرائض المهمة والتى تكاسل عنها المسلمون فكأنها فريض غائبة وهى حاضرة أوحاضرة وهى غائبة وتظل هذه الفريضة باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لايبطلها ظلم الظالمين ولا عدل العادلين ولمصر فى هذا المضمارمنزلة كبرى تناطح الجوزاء وتزاحم الشمس فى الجلاء وقد بين هذه المنزلةإمام المرسلين وخاتم الأنبياء(ﷺ) فى قوله " ستفتح عليكم مصر فاتخذوا بها جندا كثيفا فإنهم من خير أجناد الله فى الأرض او فإنهم خير اجناد الله في الارض " فقال أبو بكر الصديق ولما ذلك يارسول الله فقال الصادق المصدوق " لأنهم وأزواجهم وذرياتهم فى رباط إلى يوم القيامة" (رواه مسلم بألفاظ متقاربة) ولو أتحدت كلمة المسلمين وجاهدوا كما أمرهم الله لعدنا بالتاريخ إلى أمجاد السابقين الذين أصبحوا ذكريات وأصبح حظنا منهم الكلام عنهم . وأما قوله (ﷺ) " حتى يقاتل آخر أمتى الدجال " فالمقاتلة من المفاعلة وتكون بين الجانبين وهذا يؤكد بقاء الجهاد حتى آخر الزمان ويقول (ﷺ) لاتقوم الساعة حتى يخرج دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله أو حتى يخرج ثلاثون دجلا كلهم يكذب على الله ورسوله " (٢). قوله ثلاثون يبدو لى أن العدد ليس على حقيقته وإنما هو للمبالغة كقوله تعالى " استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم" (٣) فهل لو أستغفر لهم ألفا تتحقق لهم المغفرة ؟ ابدا إنما هو على سبيل المبالغة وقد كان ذلك معروفا عند العرب وقد أمتلأت الدنيا فى عصرنا الحديث بالدجالين الذين استغلوا عقول البسطاء وغير البسطاء نسأل الله السلامة . والإيمان بالأقدار هو ركن من أركان الإيمان كما سبقت الإشارة بذلك قال الله تعالى " وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة " (٤) . وقال تعالى " وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم " (٥) ، وقوله جل شأنه " إنا كل شيء خلقناه بقدر " (٦) . وليس معنى الإيمان بالأقدار أن نترك العمل ولكن معناه أن نعمل ونترك النتائج لله الواحد القهار .

---

(١) أخرجه أبو داود
(٢) متفق عليه أخرجه البخارى ومسلم كما أخرجه الترمزى واحمد
(٣) سورة التوبة أيه (٨٠)
(٤) سورة القصص أية (٦٨)
(٥) سورة الأحزاب أية (٣٦)
(٦) سورة القمر أيه (٤٩)

الحديث فيه تنبيه : الإسلام محارب من ثلاث جهات :
١ ـ الثعالب الحمر .
٢ ـ الأفاعى السود .
٣ ـ الخنازير البيض .
فأما الثعالب الحمر فإنها تقوم على مبادىء من أهمهاعندهم أنه لا إله وأن الحياة مادة فقط وقد خابوا وخسروا فإن كل ما فى الكون يشهد بأن له إله مدبرا حكيما .
وأما الأفاعى السود فهم الصليبيين الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وكذبوا لأن الله لم يتخذ صاحبة ولا ولدا .
وأما الجبهة الثالثة فهى جبهة الخنازير البيض وهم اليهود الذين قالوا ان عزير ابن الله وهم فى هذا كإخوانهم النصارى وكل منهم هؤلاء وأولئك قد ضلوا سواء السبيل ومع هذه الحروب والجبهات فقوة الإسلام باقية بنصر الله وتأييده ، وإن مثل الإسلام وهؤلاء الجبهات كمثل بعوضة هبطت على نخلة فلما أرادت البعوضة أن ترحل قالت للنخلة استمسكى بنفسك فإنى راحلة عنك فقالت لها النخلة والله ماعلمت بك حين هبطت فكيف استمسك بنفسى وأنت راحلة عنى ، والجهاد أساس من أسسه وسيبقى الإسلام هو الإسلام شامخا كالسماءوكل من حارب الإسلام فمصيره الضياع والخذلان المبين .

وفى هذا القدر الكفاية وبالله التوفيق والهداية.

الحديث الخامس

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ) : " إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشىء من الدلجة " . (أخرجه البخارى والنسائى)

الراوى الأعلى للحديث

هوالصحابى الجليل عبد الرحمن بن صخر من قبيلة دوس باليمن وابو هريرة كنيته ، كناه بها النبى (ﷺ) لهرة كان يأخذها فى كمه وهو راوية الإسلام الأول وأكثر الصحابة حديثا عن رسول الله (ﷺ) . رغم قصر مدة بقاءه مع النبى (ﷺ) فقد أسلم فى العام السابع للهجرة ولكن ماهو السر فى كثرة حديثه عن النبى(ﷺ) ؟

والجواب عن ذلك يتلخص فيما يأتى :

١ ــ دعاء النبى (ﷺ) له بألاينسى شىء سمعه منه وقيل أنه هوالذى دعا بذلك وامن عليه النبى (ﷺ) .

٢ ــ تفرغه لطلب الحديث فكان استاذا متفرغا مخلصا وفيا لهذه المهمة الكبرى التى يقوم بها وقد حدث بذلك عن نفسه فقال : كان المهاجرون يشغلهم الصفق [١] فى الأسواق وكان الأنصار أهل زرع فكنت أشهد مالايشهدون واسمع مالايسمعون أنى كنت امرؤ مسكينا أصاحب رسول الله (ﷺ) على ملىء بطنى أدورمعه حيث دار وهذا معنى التفرغ الذى أشرت اليه آنفا . وابو هريرة قام بتبليغ الحديث خير قيأم وروى كثيرا عن رسول الله (ﷺ) واصحابه فكان وعاء من اوعية العلم ومرجعا له منزلته ومكانته فى الإسلام [٢] .

---

(١) الصفق هى التجارة

(٢) من أراد الزيادة الى كتاب الإصابة فى تميز الصحابة ـ لأبو حجر العسقلانى

إن الدين يسر : الدين يحتمل أن يكون بمعنى الإيمان أو الإسلام أو هما معا ، ويمكن أن يشمل الدين الإحسان كما بين ذلك حديث جبريل المشهور وكذلك أمارات الساعة من الدين ، ويؤكد هذا قوله (ﷺ) هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم ـ سبق تخريجه ـ ، ويمكن أن يكون الدين بمعنى الحكم قال تعالى حكاية عن يوسف " ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك إلآ أن يشاء الله " [٣] فالدين هنا هو الحكم .

أما اليسر : فمعناها السهولة كأن تقول أمر ميسور اى سهل التفاؤل لامشقة فيه ، أو هو رفع الحرج عن المكلف بالنسبة للتكاليف الشرعية قال تعالى :" يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر " [٤] .

يشاد : بمعنى يجادل أو يحاور من أجل الوصول للحق ولكن لمجرد الجدال ولا بد أن ينتصر الدين فى هذه الحالة وذلك لأن علماء أصول الفقه يقررون قاعدة هامة يقولون فيها " إذا ضاق الأمر اتسع " .

---

(٣) سورة يوسف آية (٧٦)
(٤) سورة البقرة آية (١٨٥)

قوله أحد : فاعل مؤخر و(الدين) مفعولا به ويجوز أن يكون لفظ الدين فاعلا و(أحد) مفعول به

قوله (إلاغلبه) : انتصر عليه الدين وذلك لأن الدين يسر وصالح لكل شئون الحياة فى كل زمان ومكان

. قوله (فسددوا) : أكثروا من العمل الصالح بشرط أن نكون مخلصين ويوضح ذلك قوله (ﷺ) (إنما الأعمال بالنيات ...) الحديث وقد سبق الكلام فى الإخلاص فى الحديث الأول .

. وقوله (وقاربوا) : ترتبط ارتباطا وثيقا بقوله سددوا وذلك لأن الإخلاص والعمل الصالح يحتاجان إلى مواصلة واستمرار وهذا هومعنى (وقاربوا) ، ويمكن أن يكون المعنى (سددوا) أدوا الفرائض و(قاربوا) أدوا النوافل والسنن ويؤكد هذا قوله فى الحديث القدسى " وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضته عليه " وهذا معنى سددوا وقوله تعالى " لايزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه " يعنى أداء النوافل وهذا معنى (وقاربوا) .

ويظهر لى أن بعد ذكر هذه المعانى أن التوسط أمر لابد منه فى كل حال . قال تعالى " وكذلك جعلناكم أمة وسطا " (١)

قوله (أبشروا) : وهى من البشارة وهى النتيجة الطيبة التى ينتظرها الإنسان بعد الأخذ بالمقدمات أخذا صحيحا فمن سدد وقارب فلينتظر رضوان الله وتلك خير بشارة ينتظرها المؤمن المأثور فى الدعاء" اللهم اجعلنى من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا " (أخرجه ابن ماجه واحمد)

قوله (واستعينوا) : يقتضى ثلاث أشياء

١ ـ مستعين وهوالعبد ٢ ـ مستعان به هو الله عز وجل ٣ ـ مستعان عليه وهو هنا العمل الصالح بصفة عامة ومن هنا كانت الاستعانة بعد العبادة فى المنزلة ، وقال الله تعالى " اياك نعبد وإياك نستعين " (٢) و حاصل العبادة و الإستعانه منحصرا في قوله عز و جل " إهدنا الصراط المستقيم " (٣)ومن أجل هذا كانت قرأة الفاتحة لايستغنى عنها فى كل ركعة من ركعات الصلاة فإن قلت ما السر فى قوله أهدنا بضمير الجمع ولم يقل اهدنى مع إن المصلىواحد أقول لك أن ضمير الجمع يؤكد أن هذه الأمة إنما هى رجل واحد يعبدون جميعا إله واحد باسلوب واحد وذلك يعنى أن تتحد كلمتهم وتتفق غايتهم واوجهتهم كما قال الواحد القهار (قل أن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتىلله رب العالمين) (٤)وقوله بالغدوة : يعنى صلاة الصبح

(١) سورة البقرة اية (١٤٣)
(٢) سورة الفاتحة آية (٥)
(٣) سورة الفاتحة اية (٦)
(٤) سورة الانعام اية (١٦١)

والروحة صلاة العصر أو المغرب والعشاء، وبالجملة فهى تقضى المحافظة على الصلاة فى وقتها صباحا ومساءا . قال (ﷺ) (لن يلج النار أحد صلى البردين) وقال (ﷺ) من صلى البردين. دخل الجنة [1] ، والبردان هما (الصبح والعصر) وقال(ﷺ)) "الذى تفوته صلاة العصر من غير عذرا فكأنما وتر [2] أهله وماله " [3]

(وشىء من الدلجة) : يعنى قيام الليل على الرأى الراجح وقد سئل النبى (ﷺ) عن أفضل الصلاة بعد المكتوبة ، فقال قيام الليل . ويتحقق قيام الليل ولو بركعتين ومن زاد فهو خير له . وقد أمر رسول الله (ﷺ) بقيام الليل ترغيب فى زيادة الأجر فقال (ﷺ) " عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ... " الحديث [4] .

وليس معنى هذا أن يقوم المؤمن يصلى حتى ، إذا أدركه التعب نام عن صلاة الفجر فتكون قد فاتته الفريضة ثم يذهب إلى عمله كسولا خاملا فلا يستطيع أن يؤدى ما يطلب منه من عمل فهو بهذا يكون كالذى بنى قصرا وهدم مصرا . ومعلوم أن الفرائض مقدمة على النوافل ، والإسلام كل لايتجزء ، ومن المشهور فى السنة قوله (ﷺ) " أنى اصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى " [5] . وأرى أنه من المهم فى هذا الأمر ينظم المؤمن وقته تنظيما صحيحا لايطغى أمرا على أمر ولا يضيع أمورا كثيرة من أجل أمرا واحدا . وأمر استغلال الوقت وتنظيمه فى حياة المسلم له أثره وقيمته فى أمور الدنيا والآخرة .

قال تعالى (وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) [6]

وهذه الآية تبين لنا البرنامج الصحيح للعبارة المشهورة " الإسلام دين ودنيا " وإن كان بعض الناس يأخذون قوله تعالى " ولاتنس نصيبك من الدنيا " ويتركون ماقبلها ثم

---

(١) متفق عليه أخرجه البخارى ومسلم وأحمد والدرامى
(٢) وتر : بمعنى فقد
(٣)متفق عليه أحرجه الأمامان البخارى ومسلم كما أخرجه الترمذى وابن ماجة وأبوداود والنسائى وأحمد ومالك والدرامى
(٤) أخرجه الترمزى
(٥) متفق عليه أخرجه البخارى ومسلم ، كما أخرجه الإمام أحمد والنسائى والدرامى
(٦) سورة القصص اية (٧٧)

يفسرونها على حسب أهوائهم ، وهؤلاء مخطئون كل الخطأ لأنهم بهذايقرعون قوله تعالى " فويل للمصلين " ولا يكملون قوله تعالى " الذين هم عن صلاتهم ساهون "[٧]، أو يقرعون قوله تعالى "يأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة " ولايكملون قوله تعالى " وأنتم سكارى "[٨] ولعل هؤلاء الغافلين أن نذكرهم بقول الحق " أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض "[٩] . ومعلوما أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

والاستفهام هذا استفهاما إنكاريا ، فكأن الله يقول " يأيها الناس لاتأمنوا ببعض الكتاب وتكفروا ببعض ولكن آمنوا بالكتاب كله لأن الإسلام كل لايتجزء وهذه حقيقة يجب أن يلتفت إليها كل مسلم ومسلمة " .

---

(٧) سورة الماعون آية (٤ ، ٥)
(٨) سورة النساء آية (٤٣)
(٩) سورة البقرة اية (٨٥)

شرح الحديث

هذا الحديث يمثل لنا قاعدة عامة شاملة كاملة فى يسر الإسلام وسماحته والحديث يشمل على كلمات متلألآت مضيئات جاءت على لسان النبى (ﷺ) إلا أنها مع قصرها فى الألفاظ جاءت وكأنها بحرا عميقا من المعانى التى تفيض مهابة وجلال . ومنهج الإسلام بصفة عامة يقوم على الوسطية كما أشرت لذلك آنفا لا إفراط ولا تفريط فالمتشددون الذين ضيقوا على أنفسهم وعلى الناس وحصروا الإسلام فى قضايا محدودة وكان ما تركوه من الإسلام أكثر مما أخذوه ، وأن تكلمت مع أحد منهم فى قضية تراه متمسكا برأيه إلى أبعد الحدود لا يحيد عنه أبدا مهما قدمت له من براهين قاطعة وحجج ساطعة فالحق معه دائما وماعداه باطل . وهؤلاء هما الذين قال فيهم النبى (ﷺ) (هلك المتنطعون قالها " ثلاث مرات ") [١] وقالوا ومن المتنطعون يارسول الله ؟ قال : المتشددون فى غير مواضع الشدة . وفى البخارى أن رسول الله (ﷺ) قال : (إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين) [٢] و قال " بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا "[٣] .

من أجل ذلك كان من أوجب الواجبات على الذين يعملون فى حقل الدعوة إلى الله أن يضعوا أمام أعينهم بعد قلوبهم قول الله تبارك وتعالى (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) [٤] . والحكمة هنا هى وضع الشيء فى موضعه ، ولا يقدروا عليها إلا المتدربين على الحكمة والذين لاوجهة لهم ولا هدف إلا رضوان الله عز وجل . وقوله تعالى عن المرحلة الثانية وهى الموعظة الحسنة جاءت هنا مقيدة لأنها حسنة ويعنى أن هناك موعظة سيئة ثم تأتى المرحلة الثالثة وهى الجدال وشرطها أن تكون بالتى هى أحسن .

وفى هذا الحديث منهج قويم يستفيد منه أهل الدعوةإلى الله رب العالمين..

---

(١) أخرجه مسلم و أبوداود و أحمد

(٢) اخرجه البخارى والترمذى والنسائى وأبو داود وأحمد

(٣) متفق عليه أخرجه البخارى ومسلم ، كما أخرجه أبو داود والإمام أحمد.

(٤) النحل اية (١٢٥)

اهم مايؤخذ من الحديث

بعد هذا الشرح والبيان يظهر لنا أهمية هذا الحديث ومنزلته فى الإسلام وأهم مايستنبط منه :

١ ــ أن الدين يطلق على كل من الإسلام والإيمان .
٢ ــ إن الدين عند الله الإسلام فالإسلام دين الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .
٣ ــ التكاليف التى أمرنا بها الإسلام محدودة وميسورة وهى فى نطاق قوله تعالى " لا يكلف الله نفسا إلاوسعها " [٥] وما امرنا الله بشىء إلا وهو خير لنا وما نهانا عن شىء إلا وكان فيه شرا لنا .
٤ ــ " لن يشاد الدين أحد إلا غلبه " يؤكد هذا حديث عبد الله بن عمر حين قال أصوم النهار وأقوم الليل فنهاه النبى (ﷺ) عن ذلك رفقا به وحرصا على روح الوسطية التى أقرهاالإسلام .
٥ ــ تدرج الإسلام فى التشريع فحرم الخمر مثلا ، وهكذا شأن الإسلام يأخذ أتباعه باللين والرفق فى كل شىء .
٦ ــ الإخلاص أساس العمل الصالح .
٧ ــ استمرار العمل الصالح طريق إلى رضوان الله .
٨ ــ المحافظة على الصلوات من أفضل الأعمال وأقرب القربات وأول مايسأل عنه العبد يوم القيامة .

وبالله التوفيق وفى هذا القدر الكفاية ونسأل الله التوفيق ومنه الهداية

---

(٥) البقرة اية (٢٨٦)

الحديث السادس

عن سعيد بن زيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ) " من أحيا أرضا ميتة فهى له وليس لعرق ظالم حق " . (رواه الترمذي وأبو داود وأحمد ومالك).

الراوى الأعلى للحديث

سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وكنيته أبو الأعور وهو من الصحابة ورتبتهم أعلى مراتب العدالة والتوثيق . وسعيد بن زيد أبن عم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وتزوج أخته فاطمة التى أسلمت هى وزوجها قبل عمر وكان ذلك سبب إسلامه وأسلم سعيد قديما وكان من المهاجرين الأولين وآخى الرسول (ﷺ) بينه وبين أبى كعب وشهد مع رسول الله (ﷺ) المشاهد كلها بعد بدر وكان مجاب الدعوة. توفى بالعقيق وقيل بالمدينة سنة خمسين أوإحدى وخمسين هـ وهو أبن بضع وسبعين سنة وغسله أبن عمر وصلى عليه ونزل فى قبره سعد بن أبى وقاص وأبن عمر رضى الله عنهما .
وسعيد بن زيد واحد من العشرة المبشرين بالجنة وهم : أبو بكر الصديق وعمربن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعيد بن زيد ــ وهو مستجاب الدعوة ــ وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة عامر بن الجراح وسعد بن أبى وقاص . وعلى هذا يكون سعيد بن زيد وسعد بن أبى وقاص كلاهما مستجاب الدعوة ، وسعيد بن زيد يلقب بالموحد بن الموحد وهو لقب لم يحظى به غيره من العشرة المبشرين بالجنة وذلك أن أباه زيد كان من الحنفاء انباحثين عن دين إبراهيم وهؤلاء كانوا قبل الإسلام . والعشرة المبشرين بالجنة ليس معنى هذا أنه لم يبشر غيرهم بالجنة وإنما بشر غيرهم ولكنهم جاءوا فى أول القائمة فهم بلغة انعصر الحديث العشرة الأوائل وقد اشتهر حديث عن عبد الرحمن بن عوف وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " أن عبد الرحمن يدخل الجنة حبوا " وهذا حديث ضعيف جدا بل قال بعض علماء الحديث أنه موضوع واستدلوا على ذلك بأن سند هذا الحديث فيه رجل يسمى عمارة بن زازان وهوكذاب . والواقع يؤكد وضع هذا الحديث فكيف يكون مبشرا بالجنة ويدخلها حبوا على يديه وقالوا إن حسابه عن ماله هو الذى أخره عن أصحابه وأسأل هل كان لهؤلاء أموال يحافظون عليها ويهتمون بها ؟ إنهم كانوا وأموالهم جنودا فى سبيل إعلاء كلمة الحق وكانو أئمة فى البذل والعطاء .

لغويات الحديث

١ ــ الإحياء : جعل الشيء حيا وذلك يكون بتحوله من حال إلى حال فالصحراء مثلا هى الأرض الجرداء فإذا زرعت فقد تحولت من صحراء إلى حديقة غناء فهذا إحياء لها قال تعالى " وآية لهم الأرض الميتةأحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وماعملته أيديهم أفلا يشكرون"(١)

وقوله (ﷺ) " التمسوا الرزق فى خبايا الأرض " . ٢ ــ الميتة والموات : فالميتة على هذا هى الأرض التى لم تعمرقط اوالارض التىلامالك لها . وأرى أنه لابد من الجمع بين الكلمتين كى يصح المعنى فهى الأرض التى لم تعمر ولا مالك لها .

شرح الحديث

هذا الحديث باب من أبواب الدعوة إلى العمل ولا سيما فى مجال الزراعة وعمارة الأرض وهو عمل من أرقىالأعمال التى يحبها الله ورسوله وفى صحيح الحديث قال (ﷺ) من أمسىآ كلا من عمل يديه بات مغفور له " . وكان آدم عليه السلام أول من أشتغل بالزراعة وبإحياء الأرض الموات وأستاذ الإنسانية محمد (ﷺ) لقى رجل من أصحابه وقد أثر العمل فى يديه فقال له النبى(ﷺ) " إن هذه يد يحبها الله ورسوله " .

ويؤكد هذا المورد فى الحديث الآخر من قوله (ﷺ) " مامن إنسان يغرس غرسا فيأكل منه إنسان أو دابة أوطير إلا كان له صدقة " (٢) ولا غرابة فى ذلك فالصحابى الجليل أبو الدرداء عويمر بن عامر الملقب بحكيم هذه الأمة وهو فى آخر حياته كان يزرع شجرة الجوز وهى لاتثمر إلابعد أعوام كثيرة فقال له أحد الناس تزرع هذه وهى لاتثمر إلا بعد كذا وكذا وأظنك لاتدركها فقال وما على إذا زرعت فأكل غيرى إنهم قد زرعوا لنا فأكلنا ونزرع ليأكل غيرنا .

وأما عن إحياء الموات فتعريفه عند الشافعية ما لم يكن عامرا أوقريبا من العمار ، وإحياء الموات فى الغالب يعنى استصلاح الأراضى الزراعية وجعلها صالحة للزراعة برفع عوائق الزراعة من أحجار واستخراج الماء واستصلاح التربة وتشييد البناء وذلك كله مشروط بالثقة المطلقة فى الله عزوجل قال تعالى " افرءيتم ماتحرثون ءأنتم تحرثونه ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون "(٣) .

---

(١) سورة يس الآيات (٣٣ ــ ٣٤ ــ ٣٥)

(٢)أخارجه مسلم والترمزي وأحمد والدرامى

وأما عن إحياء الموات فتعريفه عند الشافعية ما لم يكن عامرا أوقريبا من العمار ، وإحياء الموات فى الغالب يعنى استصلاح الأراضى الزراعية وجعلها صالحة للزراعة برفع عوائق الزراعة من أحجار واستخراج الماء واستصلاح التربة وتشييد البناء وذلك كله مشروط بالنقة المطلقة فى الله عزوجل قال تعالى " أفرعيتم ماتحرثون ءأنتم تحرثونه ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون "(٣) .

والإحياء ورد عن الشاعر مطلقا وما كان كذلك وجب الرجوع إلى العرف . وثبتت مشروعية إحياء أرض الموات بالسنة فى أحاديث كثيرة منها قوله (ﷺ) من أحيا أرضا ميتة فهى له "(٤) وقوله " من سبق إلي ماء لم يسبقه إليه مسلم فهو له " (٥) .

قال عروة : قضى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته وعامة فقهاء الأمصار على أن الموات يملك بالإحياء وإن اختلفوا فى شروطه إلا أنهم اتفقوا على أن الأرض التى لها مالك معروف شراء أوعطية لم ينقطع ملكه لا يجوز إحياؤها لأحد غير أصحابها . قوله (ﷺ) الفاء واقعة فى جواب الشرط وجواب الشرط هنا جملة اسمية وأداة الشرط من وفعل الشرط أحيا ، وإنما وقع جواب الشرط هنا مقترنا بالفاء لأنه جملة اسمية . قال ابن مالك وهو يتحدث عن المواضع التى يجب اقتران جواب الشرط فيها بالفاء اسمية طلبية وبجامد ، وبلن وقد وبالتنفيس (التنفيس أن يسبق الفعل بالسين أو بسوف) .

---

(٣) سورة الواقعة آية (٦٣ ، ٦٤)

(٤) أخرجه البخارى والترمذي وأبو داود وأحمد ومالك والدرامي

(٥) اخرجه أبو داود فى السنن

البناء والغراس ، والباطنان الآبار والعيون وأرى أن الأمر ليس منحصرا فى هذه الأمور الأربعة وإنما يشمل كل تعد وَلكِلّ ظلم ولا سيما ظلم الجار لجاره والله تبارك وتعالى يقول فى حديثه القدسى " ياعبادي إنىّ حرمت الظلم علىٰ نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا " ــ الحديث .

وقوله (ﷺ) فى صحيحَ الحديث " انصر أخاك ظالما أو مظلوما ، فقال يارسول الله أنصره مظلوما فكيف أنصره ظالما ، فقال الرحمة المهداة : تمنعه من ظلمه فإن ذلك نصره " (٢) ويقول ربنا " ولاتحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون " (٣) وكذلك ماورد عن الصادق المصدوق " الظلم ظلمات يوم القيامة " (٤) ، وقد شرح ذلك فى حديث آخر " هل تدرون من المفلس قالوا المفلس فينا يارسول الله من لادرهم له ولا متاع قال المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصيام وصلاة وزكاة ويأتى قد شتم عرض هذا وقذف هذا وأكل مال هذا فيقعد فيقتص هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ماعليه من الخطايا أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار " (٥) ، وما أحسن قول القائل :

لاتظلمنَ إذا ماكنت مقتدرا ... فالظلم ترجع عقباه إلى الندم

تنام عينك وعين المظلوم منتبهة ... يدعو عليك وعين الله لاتنم

---

(١) أخرجه البخارى والترمذى وأبو داود وأحمد ومالك
(٢) متفق عليه أخرجه الإمامان البخارى ومسلم ، كما أخرجه الترمزى وأحمد والدرامى
(٣) سورة إبراهيم آية (٤٢)
(٤) متفق عليه أخرجه البخارى ومسلم ، كما أخرجه الترمذى وأحمد والدرامى
(٥) أخرجه الإمام أحمد

ما يستفاد من الحديث

١ــ حث الإسلام على إحياء الأرض والموات .
٢ ــ حق التملك لمن أحياها .
٣ ــ تحريم الظلم حتى ولو كان قليلا .
٤ ــ عدم التعدى على حقوق الآخرين .
٥ ــ الإسلام دين العدالة والمساواة فبهما يعيش الإنسان وقد تحققت له السعادة فى الدنيا والآخرة .

وفى هذا القدر الكفاية وبالله التوفيق ومنه الهداية

الحديث السابع

عن حذيفة رضى الله عنه سمعت رسول الله (ﷺ) قال : " لاتلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا فى آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا فى صحافها " . (متفق عليه)

الراوى الأعلى للحديث

حذيفة بن اليمان واحد من النجباء من اصحاب رسول الله (ﷺ) وهو صحابى والقاعدة المشهورة فى ذلك أن يقال " رضى الله عنهما ــ عنه وعن أبيه " . وقد شهد أحد وقد قتل اليمان يومئذ خطأ بأيدى المسلمين وهم يظنون أنه من عدوهم وكان ذلك حينما خالف الرماة أمر رسول الله (ﷺ) واختلت صفوف المسلمين ورءاهم حذيفة وهم يقتلون أباه فصاح أبى أبى ياعباد الله ولكن كان القضاء قد سبقه فلم يغنى النداء عنه شيئا ومع هذا فإن حذيفة أبى أن يأخذ دية ابيه وقال وهبتها للمسلمين ولم يضعف ذلك من عزيمته وقوة إيمانه سيئا وذلك لأن هؤلاء الناس كانوا أصحاب مبادىء عاشوا عليها وقاتلوا من أجلها حتى ماتوا عليها . وكان حذيفة أحد الرقباء النجاة وأحد الفقهاء اهل التقوى وصاحب سر رسول الله (ﷺ) فى المنافقين فأعطاه النبى (ﷺ) أسمائهم وقال يا حذيفة لاتصلى على واحد من هؤلاء وهذا الأمر هو الذى جعل أمير المؤمنين عمر يسأل حذيفة ويقول له أترى أسمى بين أسماء المنافقين ياحذيفة ؟ فيقول حذيفة لا يا أمير المؤمنين . والله لا أبرىء أحدا بعدك ويظهر لنا جابا تواضع عمر بن الخطاب وخوفه من الله عز وجل فمع أنه من العشرة المبشرين بالجنة ولكنه يخاف على نفسه إلى هذه الدرجة الكبرى وذات يوم صلى عمر الفجر بالمسلمين ثم نظر إلى حذيفة وقال كيف أصبحت ؟ فقال حذيفة أصبحت أحب الفتنة وأكره الحق وأصلى بغير وضوء ولى فى الأرض ماليس لله فى السماء فغضب عمر وكان على بن أبى طالب حاضرا بالمسجد فقال : صدق يا أمير المؤمنين فأنه اصبح يحب الفتنة والله يقول " إنما أموالكم وأولادكم فتنة " [1] وأصبح يكره الحق والحق هو الموت ومن منا يحب الموت يا أمير المؤمنين وأصبح يصلى بغير وضوء على النبى (ﷺ) ،

---

(١) سورة التغابن آية (١٥)

وله زوجة وولد والله تعالى لم يتخذ صاحبة ولاولدا فسكن غضب عمر ونظر إلى على فقال لولا على لهلك عمر ، ثم قال لا أبقانى الله بأرضا لست فيها يا أبا الحسن . وهذه القصة
تدل على المنزلة الفقهية لحذيفة بن اليمان .كما أن حذيفة كان يعرف أخبار الفتن ومن هنا كان يسأل النبى (ﷺ) عن الشر مخافة أن يقع فيه وله فى ذلك حديث طويل روا ه البخارى كما أنه كان مجاهدا كبيرا وكان فتح همذان والدينور على يديه ، توفى بالمدينة سنة ست وثلاثين بعد قتل عثمان رضى الله عنه بأربعين ليلة

وقفة مع لغويات الحديث

الديباج : هو الثوب الكامل من الإبريسيم ، والديباج والابرسيم نوعان من أنواع الحرير ، وفى سنن أبى داود ومسند الإمام أحمد أن رسول الله (ﷺ) خرج ذات يوم
على أصحابه وفى إحدى يديه حرير وفى الأخرى ذهب فقال هذان حل لنساء أمتى حرام على ذكورها " (١) "
الأنية : الإبريق وغيره
صحافها : جمع صحفة وهى دون القصعة وقيل أنها التى تشبع الخمسة

شرح الحديث

" لاتلبسوا الحرير ولا الديباج " : هو مقصور على الذكور لأن علة تحريمه أن فيه خنوثة تنافى شهامة الرجل .
وقال رسول الله (ﷺ) " إنما يلبس الحرير فى الدنيا من لاخلاق له فى الآخرة (٢)

---

(١) كما أخرجه ايضا الترمذى والنسائى وابن ماجة

(٢) متفق عليه أخرجه البخارى ومسلم ، كما أخرجه ايضا الإمام النسائى وابو داود وابن ماجة وأحمد ومالك

وذلك لأن الإسلام يريد رجالا أقوياء يدافعون عن الإسلام بعيدين كل البعد عن الترف الذى قد يذهب بالمروءة . ومن رحمة الله بنا وعظيم تشريعه وفضله أنه إذا كان قد حرم علينا هذا فى الدنيا فقد اباحه لنا فى الآخرة قال تعالى عن أهل الجنة " ولباسهم فيها حرير " (٣) ، وقال بالنسبة للذهب " يحلون فيها من أساور من ذهب " (٤) ، ولعل من أهم الحكم التى كانت من أجلها تحريم هذه الشياء عدم الإسراف فى هذه الأشياء التى من شأنها أن تكون عند الأثرياء فقط .
وهناك علة أخرى قالها الشافعى وهى أن التحريم من أجل ألا تنكسر قلوب الفقراء وصدق رسول الله (ﷺ) الذى يقول " ليس الغنى عن كثرة العرض (٥) وإنما الغنى غنى النفس (٦)

وفى هذا يقول القائل :

النفس يخدع أن تكون فقيرة	والفقير خير من غنى يطغيها
وغنى النفوس هوالكفاف	فإن أبت فجميع من فى الأرض لا يكفيها

ولا تشربوا فى آنية الذهب والفضة وخص فيه بالشرب والأكل بالذكر لأن ذلك هو الغالب فى الاستعمال لا للتقييد ، وخص الإناء بالشرب والصحاف بالأكل لأنهما معدان لذلك غالبا.
ويحرم أستعمال الذهب والفضة للرجال والنساء فى الآنية ووسائل الكتابة والزينة وغيرها بأتفاق أئمة المذاهب كما أنه لايجوز الأكل والشرب والإكتحال والتطيب والتوضؤ فى آنية الذهب والفضة ، كما لايجوز أستعمال الساعات والأقلام وأدوات المكتب والمرايا وأدوات الزينة الذهبية أو الفضية ولا يجوز تزين البيوت والمجالس بالذهب والفضة لقوله (ﷺ)" لا تشربوا فى آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا فى صحافها فأنها لهم ـــ أى

---

(٣) سورة فاطر اية (٣٣)

(٤) سورة الكهف ىية (٣١)

(٥) العرض : كثرة الأموال التي يحصل عليه الإنسان من تجارة وغيره

(٦) متفق عليه رواه للبخارى ومسلم . كما رواه الإمام الترمذى وأحمد وابن ماجه

للمشركين فى الدنيا ولكم فى الأخرة " ـ سبق تخرجه ـ وقوله " الذى يشرب فى إناء الفضة إنما يجرجر فى بطنه نار جهنم " [١] وللفقهاء كلاما لابد من ذكره هنا فقد حرم الشافعية والحنابلة اتخاذ آنية الذهب والفضة أى اقتنائها [٢] لأن اتخاذها يجر إلى استعمالها وما حرم استعماله مطلقا حرم اتخاذه على هيئة الاستعمال
وقال الشافعى : وظاهرة حرمته الاتخاذ ولو للتجارة لأن آنية الذهب ممنوع من استعمالها لكل أحد بعكس الحرير يجوز اتخاذه للتجارة فيه لأنه ليس ممنوعا من استعماله لكل أحد .
وأجاز أبو حنيفه الشرب والوضوء فى الإناء المفضض " المزين بالفضة " وهذا رأى ضعيف لأنه خالف فيه جمهور العلماء ويحرم طلاء السقوف والجدران بالذهب والفضة سواء أمكن استخراج شيء منها بالعرض على النار أم لا . وعلل الفقهاء حرمة استعمال الذهب والفضة بالترف والخيلاء والأصح فى التعليل هو كون الذهب والفضة أثمن الأشياء والنقد والتداول فلو أبيح استعمالها لأثر ذلك فى رواجهما فى الأسواق فيحصل الاضطراب والقلق .

ما يؤخذ من الحديث

١ ـ تحريم الحرير والديباج على الرجال لما فيه من الخنوثة .
٢ ـ تحريم استعمال أوانى الذهب والفضة لما فيها من كبر والخيلاء وكسر قلوب الفقراء.
٣ ـ هذا الحديث اصل عظيم من أصول الإسلام التى تؤكد أنه لابد من التقارب بين مستويات الناس حتى لا نرى غنى مطغيا وكذلك لانرى فقرا منسيا ولقد كان النبى (ﷺ) يستعيذ بالله من الغنى الذى يطغى وكذلك الفقر الذى ينسى والحق الذى نراه ونعيشه فى دنيا الناس مخالفا كل المخالفة لهذا الأصل العظيم .

---

(١) متفق عليه ـ رواه البخارى ومسلم ، كما رواه الإمام أحمد وابن ماجة ومالك والدرامى
(٢) اقتناءها : أى (أتخاذها)

ولقد أصبحنا كما قال القائل :

ما الناس إلا عاملان فعامل قد مات من عطش وآخر يغرق

ونرى كذلك ناس يرفلون فى النعيم ويدوسونه باقدامهم وآخرين يفترشون الأرض ويلتحفون السماء ولله ضر من قال :

رايت الناس قد ذهبوا إلى ماعنده ذهب ومن لا عنده ذهب فعنه الناس قد ذهبوا

رأيت الناس منفضة إلى من عنده فضة ومن لا عنده فضة فعنه الناس منفضة

ويعجبنى قول القائل :

هب الدنيا تعاد إليك عفوا أليس مصير ذلك للزوال

وفى هذا القدر الكفاية وبالله التوفيق

الحديث الثامن

عن عمرو بن سعيد بن العاص رضى الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ) " مانحل والد ولده أفضل من أدب حسن " (اخرجه الإمامان أحمد والترمذى)

المفردات

نحل : أعطى والد والده .
نحلة : اصلها العطاء بسخاء وتفضل من ذلك قوله تعالى " وآتوا النساء صدقاتهن نحل "(١) ومنه أيضا ماورد في الصحيحين من حديث النعمان بن بشير قال انطلق بى أبى يحملنى إلى رسول الله (ﷺ) فقال يارسول الله اشهد أنى نحلت النعمان كذا وكذا من مالى فقال أكل بنيك قد نحلت مثل مانحلت النعمان قال لا قال فأشهد على هذا غيرى ثم قال أيسرك أن يكونوا إليك فى البر سواء قال بلى قال فلا إذا " (٢) ، وقال (ﷺ) برواية الإمام البخارى "
فاتقوا الله وأعدلوا بين أولادكم " وقال (ﷺ) على ذلك رحم الله والدا أعان ولده على بره .
قوله(ﷺ) "من أدب حسن " عبارة مقيدة ومثلها قوله تعالى " ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة " (٣) . إذن فهناك أدب سيىء وهناك موعظة سيئة وعلى الآباء والأمهات أن يتجنبوا ذلك حتى يقدموا للمجتمع جيلا صالحا معتصما بكتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) .

الراوى الأعلى للحديث

عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية القرشى الأموى المعروف بالأشدق التابعى ولى أمره المدينة لمعاوية قتله عبد الملك بن مروان عام ٧٠ هـ ووهم من زعم أن له صحبة وإنما لأبيه رؤية وكان مسرفا على نفسه ، إسرافه على نفس تختص به هو والذى نأخذه هو روايته والراجح أنه تابعى فعلا وأما ابوه فكانت له رؤيا ولم تكن له صحبة وهناك فرق بين الرؤية والصحبة فالرأى من رسول الله (ﷺ) ولو مرة واحدة ولم يصاحبه بعد ذلك .

(١) سورة النساء اية (٤)
(٢)أخرجه مسلم واحمد وابن ماجه والنسائى
(٣) سورة النحل اية (١٢٥)

والصحابى من صحب النبى (ﷺ) فترة من الزمن وعاش على الإيمان وظل عليه حتى لقى الله عز وجل .

شرح الحديث

فى عهد عمر بن الخطاب جاء إليه رجل وقال إن ابنى لم يعطنى من ماله شيئا وهو يعوقنى فقال له أجلس وأرسل فى طلب ابنه فجاء الابن وقال له الابن : ألا تسالنى عن أمى فقال له من أمك ؟ فقال أمى اشتراها أبى من السوق ولم أتعلم منها شيئا ، فقال عمر رضى الله عنه قم فقد عققت ابنك قبل أن يعقك وكل هذا مصداقا لقول المصطفى (ﷺ) " رحم الله والدا أعان ولده على بره " .

والمعونة هنا تتمثل فى الأدب العالى والخلق الكريم والسلوك الطيب والتربية الصحيحة فى ظلال القرآن والسنة المطهرة وقد وضع الإسلام لهذه التربية مؤثرات خطيرة ومبادىء راقية لو أحسن المسلمون استغلالها لرأينا أبناء المسلمين يدخلون المساجد فى سن مبكرة ويحافظون على صلاة الجماعة بشكل أكيد محافظة تجعل الصلاة تجرى فى دمائهم فهم بها أحياء ولها أوفياء وهم بذلك داخلون تحت قول النبى (ﷺ) " إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان " [١] ، ولا يتحقق هذا إلا إذا أخذنا بالحديث الآخر الذى يقول فيه الصادق الصدوق " مروا ابناءكم بالصلاة لسبع وأضربهم عليها لعشر سنين " [٢] . ومن الخصال المهمة التى حرص الإسلام عليها فى تربية الأولاد ثلاثة أشياء بينها لنا أستاذ التربية الأول وإمام الخير والهدى الذى أنقذ البشرية من الضياع والردى

(١)أخرجه الترمذى وابن ماجة واحمد والدرامى
(٢)أخرجه الإمام أحمد

فقال (ﷺ) " ربوا أبناءكم على ثلاث خصال : حب آل البيت وقراءة القرآن وحب رسول الله (ﷺ) . وما أعظم هذه الخصال إذا التزم بها المسلم وما أجمل قول القائل :

كن ابن من شئت واكتسب أدباً　　　يغنيك محموده عن النسب

إن الفتى من يقول هاأنا ذا　　　ليس من يقول كان أبى

وإن بعض الآباء وظفوا أنفسهم لجمع الأموال لأولادهم وقالوا ذلك كل شيء لقد حصنا أولادنا وكذبوا فحصانة الأولاد فى الإسلام سرها فى قوله تعالى " وليخش الذين لوتركوا من خافهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا "(٣) .
هذه الآية بينت الآن الميراث الحقيقى الذى يتركه العقلاء من الآباء لأولادهم وهى تقوى الله والقول السديد وكم رأينا فى المجتمع من أولاد جمعت لهم الأموال وكانت السبب المباشر لانحرافهم وضياعهم الى الأبد . ألا ما أعظم الإسلام فى تعاليمه وتوجيهاته وما أعظم المسلمين الذين عرفوا الإسلام فهاهو هشام بن عبد الملك يترك لأولاده ميراثا كبيرا فكان للواحد منهم مايقرب من مائة الف درهم وعلى الجانب الآخر نرى عمر بن عبد العزيز لم يترك لأولاده من حطام الدنيا شيئا قال عطاء : والله لقد رأيت أولاد هشام يسألون الناس الصدقة ورأى أولاد عمر بن عبد العزيز يتصدقون عليهم " .
فيجب أتباع الأدب مع الله مصداقا لقول الرسول (ﷺ) " اتق الله حيثما كنت " والأدب مع الرسول (ﷺ) والأدب مع النفس مصداقا " واتبع السيئة الحسنة تمحها " ويجب الأدب مع الناس مصداقا " وخالق الناس بخلق حسن "(٤) .

---
(٣)سورة النساء اية (٩)
(٤)أخرجه الإمام أحمد والترمذى والدرامى

ما يستفاد من الحديث

١ــ حسن التربية ويكفينا ماقاله الأقرع بن حابس حيث قال " دخلت المسجد فوجدت النبى (ﷺ) يقبل الحسن فقلت له يارسول الله أتقبلون صبيانكم ؟ قال (ﷺ) نعم فقال فوالذى بعثك بالحق إن لى عشرة من الولد ماقبلت واحدا منهم ، فقال له النبى (ﷺ) أوأملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة "[١] ، وهذا معنى الحديث الشريف " لا تنزع الرحمة إلا من شقى "[٢] ويقول القائل

وينشأ ناشىء الفتيان منا على ماكان عوده أبوه

وللقيادة أثرها ولا سيما فى مجال التربية ، ويرحم الله من قال :

إذا كان رب البيت بالدف ضاربا فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

٢ــ تعويد الأبناء على الفعل الحسن وترك القبيح وهو خلق أصله الإسلام وأهتم به غاية الاهتمام وقد وضع النبى (ﷺ) فى ذلك برنامج متكامل يشرح العلاقة بين العبد وربه وبين العبد ونفسه وغيره من الناس وقال (ﷺ) " اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن " ــ سبق تخريجه ــ .

٣ ــ الأدب الحسن يرفع منزلة الإنسان ويعلى شأنه بين الناس ، وميزان الأدب فى نظر الإسلام هو التقوى . قال تعالى " إن أكرمكم عند الله أتقاكم "

وفى هذا القدر الكفاية وبالله التوفيق ومنه الهداية

(١) متفق عليه رواه الإمامان البخارى ومسلم ، كما رواه الإمام أحمد
(٢) أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى
(٣) سورة الحجرات آية (١٣)

الحديث التاسع

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ) كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الأثنين صدقة ويعين الرجل على دابته فيحمل عليها أويرفع عنها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وكل خطوة يمشيها إلى الصلاة صدقة ، ويمط الأذى عن الطريق صدقة .
(متفق عليه ــ رواه الإمامان البخارى ومسلم ، كما أخرجه الإمام أحمد)

الراوى الأعلى للحديث

أبو هريرة وقد سبقت ترجمته .

وقفة مع لغويات الحديث

١ ــ (كل) : كلمة عامة تستغرق جميع الأفراد قال تعالى (كل نفس ذائقة الموت)" [١] فيشمل ذلك العموم لكا نفس وهى العموم لكل سلام .
٢ ــ (سلامى) : بضم السين وتخفيف اللام : وهو العضو وجمعه سلاميات بفتح الميم وتخفيف الياء
وفى النهاية : السلامى جمع سلامية ، الأنملة من أنامل الأصبع وقيل جمعه ومفرده واحد ويجمع على سلاميات .
٣ ــ يعدل : يصلح والعدل والإصلاح أخوان متفقان لفظ ومعنى ، قال تعالى " وإذا قلتم فأعدلوا " [٢] ، وقال " إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم " [٣]

(١) سورة آل عمران اية (١٥٨)
(٢) سورة الأنعام اية (١٥٢)
(٣)سورة الحجرات اية (١٠)

٤ ــ متاعه : كل ما يتمتع به من عرض الدنيا قليلا كان أو كثيرا قال تعالى " وما متاع الدنيا فى الأخرة إلا قليل " (٤) ، لكن المتاع هنا يغلب عليه أن يكون متاع ماديا وذلك حتى يتسنى للإنسان حمله .

٥ ــ تميط : تزيل وتبعد الأذى عن الناس

٦ ــ الأذى : هو مايؤذى المارة من حجر أوشوك أونحوهما مما يعيق الطريق أو يتسبب فى إيذاء الناس وفى الحديث عن رسول الله (ﷺ) قال : إياكم والجلوس فى الطرقات قالوا يارسول الله ما لنا من ذلك بد (٥) قال : فإن أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقها قال وما حق الطريق قال : غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر " (٦)

٧ ــ الكلمة الطيبة : هى كل ذكر أودعاء للنفس أوللغير، وأرى أن الكلمة الطيبة أعم من ذلك وأشمل ، فالكلمة الطيبة تزول المشاكل والخلافات وتتأكد الروابط والعلاقات وتمشى سفينة الحياة آمنة مطمئنة وصدق رسول الله (ﷺ) الذى يقول " رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أوسكت فسلم "

---

(٤) سورة التوبة آية (٣٨) (٥) بد : بمعنى مفر
(٦) أخرجه مسلم وأحمد

"ويقول صلى الله عليه وسلم " أمسك عليك لسانك "[1] وذلك لأن اللسان عنوان الإنسان .

شرح الحديث

هذا الحديث يضع لنا خطة متكاملة لعمل الخيرات والتعاون الصحيح بين الأفراد والجماعات قال تعالى " وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان "[2] فهو يطالبنا بالصدقة وذلك في كل يوم تطلع فيه الشمش ثم يضع لنا أمور سهلة تمكننا من الدخول تحت مظلة الخيرات فقوله بعد ذلك " تعدل بين الأثنين صدقة " . وإن كان الحديث يطالبنا بالصدقة عن كل مفصل في جسم الإنسان وأهل الذكر في هذا المجال يقولون إن للإنسان ستين وثلاثة مائة مفصل تقل أوتزيد ولا عبرة بدقة العدد هنا وإنما العبرة بملازمة الصدقة وأبوابها كثيرة كما أشرت فالعدل بين الأثنين باب من ابواب الصدقة وحمل المتاع على الدابة لمن لا يقدر عليه صدقة وليس المراد بالدابة هنا نوعا خاص من أنواع الدواب كالخيل أو الدواب أو الحمير وإنما هي أعم من ذلك وأشمل وكذلك إزالة الأذى عن الطريق لونا من الوان الصدقة وأرى أنها من أفضل القربات . والخصلة الأخيرة تحتاج إلى كلام كثير وهي كل خطوة يمشيها المؤمن الى الصلاة صدقة ورد أنها ترفع درجة وتمحو خطيئة وذلك لانها
تكون صلاة جماعة غالبا .
ومن المعروف أن صلاة الجماعة تزيد عن صلاة المنفرد بسبع وعشرين درجة أو خمس وعشرين درجة ولا يعلم مقدار الدرجة هنا إلا الله عزوجل وإذا كان العبد يفتخر في الدنيا بدرجات النجاح فحق له أن يفتخر بدرجات الآخرة قال تعالى " والسابقون السابقون أولئك المقربون "[3] وقال جل شأنه " وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين "[4]

(١) أخرجه الترمذى
(٢) سورة المائدة اية (٢)
(٣) سورة الواقعة (١٠)
(٤) سورة ال عمران

وكذلك من الخصال الحميدة التى دعا إليها الحديث الإصلاح بين الناس وعن هذا الباب حدث ولا حرج فالإصلاح بين الناس اصبح عملة صعبة ولاسيما بعدما انتشرت بين الناس قطيعة الرحم وقلة التزاور حتى أصبح كثيرا من الأقارب لايكاد يعرفوا بعضهم بعضا وذلك لأنهم لايلتقون إلا فى المناسبات وذلك إذا أرادوا اللقاء وأذكر هنا ماقلته أمنا أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد أعظم أم وأعظم زوجة لأعظم زوج وهو رسول الله (ﷺ) قالت له حينما نزل عليه الوحى : والله لايخزيك الله ابدا إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق [٥] أخرجه الجامعات ولكنها كانت عارفة كل المعرفة بأمور الدين والدنيا معا . وأعود إلى الإصلاح بين الناس فأذكر قوله تعالى "

(٥) متفق عليه أخرجه الإمامان البخارى ومسلم . كما أرجه الإمام أحمد

" لاخير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أومعروف أوإصلاح بين الناس "[١] .
وهذه الخصال التى ذكرتها الآية يقوم عليها المجتمع المسلم الذى يحرص على الحياة فى ظل الإسلام ومن هنا قال (ﷺ) " لايحل لمسلم أن يهجر اخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام " [٢] فاللهم ربنا حيينا بالسلام وأدخلنا برحمتك دار السلام .

مايؤخذ من الحديث

١ ـ بالشكر تدوم النعم ونعم الله لاتحصى قال تعالى " وإن تعدو نعمة الله لاتحصوها "[٣] " ولئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد " [٤] .
٢ ـ الإسلام دين التعاون والعدالة والألفة والمحبة قال تعالى " واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا " [٥]
٣ ـ الحث على طلب العلم وهومن أفضل مايتقرب به العبد إلى ربه وخاصة فى علوم الدين وقد أكد ذلك النبى (ﷺ) بقوله " من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين " [٦]
٤ ـ منزلة الصلاة فى الإسلام وهى اول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة .
٥ ـ من آداب الإسلام رفع الأذى عن الطريق وأرى أن الأذى ليس قاصرا على الماديات وإنما يشمل الأمور المعنوية أيضا وبالبعد عن الايذاء يتحقق الا من والرخاء

ويرحم الله القائل :

إذا شئت أن تحيل سليم من الأذى ... وحظك موفورا وعرضك حين
لسانك لا تذكربه عورة امرىء ... فكلك عورات والناس ألسن
وعينك إن أبدت إليك مساوىء ... فصنه وقل ياعين للناس أعين
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى ... وفارق ولكن بالتى هى أحسن

وفى هذا القدر الكفاية وبالله التوفيق ومنه الهداية

(١) سورة النساء آية (١١٤)
(٢) متفق عليه أخرجه الإمامان البخارى ومسلم ، كما أخرجه الأئمة الترمذى وأبو داود وأبن ماجه وأحمد
(٣) سورة ابراهيم آية (٣٤)
(٤) سورة ابراهيم آية (٧) (٥) سورة آل عمران آية (١٠٣)(٦) متفق عليه أخرجه الإمامان البخارى ومسلم ، كما أخرجه الأمة الترمذى وابن ماجة وأحمد ومالك والدرامى

الحديث العاشر

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله (ﷺ) مر على صبرة طعام فأدخل يده فنالت أصابعه بللا فقال ما هذا ياصاحب الطعام ؟ قال : أصابته السماء يارسول الله قال أفلا جعلته فوق الطعام كى يراه الناس من غش فليس منا "

(رواه الإمامان مسلم والترمذى)

راوى الحديث

سبقت ترجمته

المفردات

١ ــ صُبرة : بضم الصاد المهملة جمع صبر كغرفة وغرف ، وعن أبى زيد اشتريت الشيء صبرة أى كومة بلا كيل ولا وزن .
٢ ــ أصابته السماء : أى المطر وكل ما علاك وأظلك فهو سماء من حيث اللغة والسماء المطر.
٣ ــ الغش : كتم عيب المبيع.
٤ ــ ما هذا ياصاحب الطعام : استفهام إنكارى وكان يمكن تكراسمه ولكن (ﷺ) علمنا

حسن الأدب والرفق فى الدعوة إلى الله حتى مع الذين خرجوا عن الجادة .والغش من اقبح القبائح والكلمة نفسها وإن فسرت بالخداع إلا أنها كلمة كبيرة وخطيرة والحديث الذى بين ايدينا يشرح لنا قضية من أهم القضايا لو سلم منها المجتمع المسلم لوجدنا القلوب وقد ملئت بللإيمان والأيدى قد ملئت إحسانا والأرواح وقد ملئت طهراً ونقاءاً ولا ينسى التاريخ أبدا هذه القصة التى حدثت أيام عمر التى نشرحها فى شرح الحديث

شرح الحديث

ونبدأ شرح الحديث بقصة عمر بن الخطاب رضى الله عنه حينما نهى عن غش اللبن بالماء فقامت امرأه بالليل وقالت لابنتها هلمى إلى بالماء لأغش اللبن فقالت البنت يا اماه ألم تعلمى أن عمر قد نهى عن ذلك فقالت يا بنيتى ما شأن عمر بنا الآن إنه نائم فقالت البنت إذا كان عمر نائما فإن رب عمر لا ينام وصادف ذلك ان كان عمر يمشى يعسعس بالليل فى المدينه فسمع هذا الحوار فلما كان الصبح ذهب عمر وزوج ابنه عاصم من هذة البنت و كان من نسلها عمر بن عبد العزيز وصدق الله ذريه بعضها من بعض " [١] . العجيب هنا و الجدير بالذكر ان ابا هريرة كان يمشى مره فى احد شوارع المدينة فرأى امرأه تغش اللبن بالماء فهل ضربها ابو هريرة ولو كان فعل لكان على حق لأنه من كبار اصحاب الرسول (ﷺ) ولكنه لم يفعل وقال لها يا امة الله كيف انتى إذا قيل لك يوم القيامة خلصى اللبن من الماء فقالت اتوب إلى الله يا ابا هريرة . كما أن الغش كله محرم ولكن بعض الناس يقولون إن الغش فى الأمتحانات لا يكون داخلا تحت هذا الموضوع وكذبوا لأن الغش هو الغش إيا كان وكيف كان والغش فى الأمتحانات يقضى على أهم مبدأ وهوتكافؤ الفرص وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ومن ألوان الغش بل من أشدها أن يخدع الأنسان نفسه قبل أن يخدع الآخرين فمثلا ذلك الواعظ الذى يعظ الناس ويذكر لهم بعض أحاديث رسول الله (ﷺ) دون أن يعرف درجتها

(١) سورة آل عمران آية (٣٤)

من الصحة أو الضعف هذا الرجل غاش لنفسه ولدينه وللمسلمين ومن هنا كانت الدعوة إلى الله مسئولية من أكبر المسئوليات التى يسأل عنها العبد يوم القيامة وصدق الله " أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون " [(١)] وعن هذا المعنى يقول القائل :

ياواعظ الناس قد أصبحت متهما   إذ عبت منهم أمورا أنت تأتيها
تعيب دنيا وناس عاملين لها   وأنت أكثر منهم رغبة فيها

ما يتضمنه الحديث

١ ــ نهى الإسلام عن الغش والخداع بصورة عامة فى كل شئون الدنيا فالنبى (ﷺ) يقول " الخديعة في النار " [(٢)] ، ونسوق قول الصديق أبى بكر رضى الله عنه فى أول خطبــه بعد توليه الخلافة مبينا التزامه بالمنهج الإسلامى الصحيح : " أطيعونى ما أطعت اللــه ورسوله فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم " . وهاهو عمر بن الخطــاب رضى الله عنه يقدر المسئولية أعظم تقدير فيقول والله لوعثرت بغلة فى العراق لخشيـت أن يسألنى الله عنها لما لم تصلح لها الطريق . فالغش والخداع لفظين نهى عنهما الإسلام قال تعالى حكاية عن المنافقين " يخادعون الله والذين آمنوا ومايخدعون إلا أنفسهم ومــا يشعرون " [(٣)] وقال تعالى " إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا للصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولايذكرون الله إلا قليلا " [(٤)] فأى غش للنفس أكبر من هذا ولا حول ولا قوة إلا بالله .

---

(١)سورة البقرة آية (٤٤)
(٢)اخرجه البخارى
(٣)سورة البقرة آية (٩)
(٤)سورة النساء آية (١٤٢)

٢ ــ العناية التامة بأمور المسلمين وحرص بعضهم على بعض حاكمين ومحكومين والمسئولية تختلف بحسب موقع كل واحد منهم ولكنهم جميعا مسئولون أمام الله فى ساحة العرض على الله فى يوم قال الله فيه " يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم " [٥] ، وسلامة القلوب تقتضى من أصحابها أن يكونوا ابعد الناس عن الغش .

٣ ــ من الواجب على البائع المسلم أن يظهر عيب المبيع حتى لايجعل المشترى عرضة لخداعه وغشه والنبى (ﷺ) يقول " البيعان بالخيار مالم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما وإن كذبا وكتما محق بركة بيعهما "[٦] وهو شعار لو أخذ المسلمون به لضربوه على المتلاعبين بالأقوات والأسواق بأيد من حديد .

٤ ــ التاجر الصدوق مع النبيين والشهداء والصالحين وهى منازل لايصل إليها إلا أصحاب النفوس المطمئنة والمبادئ العالية التى يقول أصحابها ماقاله القائل :

ألا كل شىء ماخلا الله باطل   وكل نعيم لامحالة زائل

ويعيشون من خلال قوله تعالى " ياأيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا " [٧]

وفى هذا القدر الكفاية وبالله التوفيق ومنه الهداية

---

(٥) سورة الشعراء أية (٨٨، ٨٩)

(٦) متفق عليه أخرجه الإمامان البخارى ومسلم ، كما أخرجه الأئمة الترمذى والنسائى وأبو داود وابن ماجه وأحمد والدرامى

(٧) سورة البقرة أية (١٦٨)

الحديث الحادى عشر

عن معقل بن يسار قال : قال رسول الله (ﷺ) " من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليغلبه عليهم كان حقا على الله أن يقعده بعظم من النار يوم القيامة " (أخرجه أحمد)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ) " من أحتكر حكرة يريد أن يغلي بها على المسلمين فهو خاطىء " (أخرجه أحمد)

الراوى الأعلى للحديث

أبو هريرة تقدمت ترجمته

أما عن معقل بن يسار راوى الحديث الأول الذى بين أيدينا فهو صحابيجليل وأسمسه معقل بن يسار بن عبد الله وكنيته أبو علي والكنية مابدأت بأب أو أم ومعقل بن يسار عاش بالبصرة معظم أيام حياته وتوفى بها وقد روى عن رسول الله (ﷺ) كثير من الأحاديث وقد أخرج له البخارى بسنده وكذلك الإمام مسلم وأبو داود والنسائى رضى الله عنهم وأرضاهم.

وقفة مع لغويات الحديث

١ ــ (الاحتكار) من الحكر والحكر فى اللغة هو الجمع والإمساك معا فالجمع لغير الأمساك لايعد حكر وإنما يكون حكرا إذا استغل حاجة الناس إلى السلعة كالطعام مثلا ونحوه من الأمور التى لاغنى عنها . ونرى صلة كبيرة بين الاحتكار والاحتقار وكأن الذى يفعل ذلك يكون محتقر لنفسه أولا ولذلك أحسنوا حينما أطلقوا عليها السوق السوداء وكأن الذين يفعلون ذلك سودوا صحائف أعمالهم بالسيئات بعد أن اسودت قلوبهم بالمعاصى والمحرمات

٢ ــ (خاطىء) : خطىء في دينه خطأ : إذا أثم فيه . والخطأ: الذنب والإثم وأخطأ يخطىء إذا سلك سبيل الخطأ عمدا أو سهوا .
وقال النووى : الخاطىء : المذنب
ولكن خطأ تستعمل غالبا فى الذنوب المتعمدة بخلاف أخطأ فأنها تستعمل غالبا فى الذنوب غير المتعمدة والكلمتان متقاربتان لفظ ومعنى .

شرح الحديث

ــ الاحتكار المحرم هو فى الاقوات خاصة أن يشترى الطعام فى وقت الغلاء للتجارة ولايبيعه فى الحال بل يدخره ليغلوا ثمنه فأما إذا جاء من قويته أو اشتراه فى وقت الرخص وأدخره أو ابتاعه فى وقت الغلاء لحاجته إلى أكله أو ابتاعه ليبيعه فى وقته فليس بإحتكار ولا تحرم فيه وأما غير الأقوات فلا يحرم الاحتكار فيه بكل حال إلا إذا كان ذلك ضار بالعامة فيأخذ حكم الأقوات وذلك مثل الملابس الشعبية بأنواعها والأدوات المدرسية والأغطية والأدوية وما شاكل ذلك .

فكله من الضروريات بمعنى أن الضروريات مرتبطة بحاجات الناس فما أحتاج إليه الناس فهو ضرورة و إلا فلا .وقد تضافرت الأحاديث على تحريم الاحتكار مطلقا ومنها حديث ابن عمر رضى الله عنهما " الجالب مرزوق والمحتكر ملعون " (١) ومعنى الجالب مرزوق الذى يأتى بالسلعة ويوفرها فى السوق للناس ومنها ايضا حديث : " من احتكر طعاما أربعين ليلة فقد برىء من الله تعالى وبرىء الله تعالى منه وأيما أهل عرصة (٢) أصبح فيهم أمرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله تعالى " (٣) ومعنى البراءة من الله أنه سلك طريقا يغضب الله وذلك لأنهُ تسبب فى إيذاء عباد الله ، وقد روى الحاكم بسنده عن رسول الله (ﷺ) .

" وأيما أهل عرصة ــ (العرصة البقعة الواسعة بغير بناء من دار وغيرها) ــ أصبح فيهم أمرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله تعالى " ومن ذلك يتضح أن الاحتكار محرم من غير فرق بين قوت الإنسان والحيوان والعبرة فى ذلك أن الشخص المحتكر تاجرا كان أو غير ذلك إذا فعل ذلك يقصد التضييق على الناس وأختصاصه بهذه السلعة يكون ذلك حراما ، أما إذا كان جمعه أى صنف من اصناف الطعام بقصد التجارة لا من أجل الحبس عن الخلق ولا الحكم فى الأسعار بالغلاء فهذا لاشىء فيه .

و هذا الحديث كأنه متمم للحديث السابق فالاحتكار هو الغش المقنع و الدافع إليه غالبا هو الطمع الذى يصاب به الكثيرون من الناس و هم لا يقنعون و لا يشبعون و يرحم الله القائل:

أمت مطامعى فأرحت نفسى	فإن النفس ما طمعت تهون
و أحييت القناعة و هى كنز	و فى أحيائها عرضى مصون

ولو بارك الله فى القليل الحلال لكان خيرا من الكثير الحرام قال تعالى " و لو أن أهل القرى آمنوا و اتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء و الأرض و لكن كذبوا فاخذناهم بما كان يكسبون " (٤) . و الحاصل من أقوال العلماء حول الاحتكار أن السلع تدور مع حاجة الناس إليها و قد وضع العلم لذلك قاعدة مشهورة تقول :

" الحكم يدور مع علته وجودا و عدم " . و بعض الناس لا يكتفون بالاحتكار إنما يعرضون أنفسهم للحلف بالله كذبا و زورا إذا باعوا أو أشتروا حتى يساعدهم ذلك على الكسب و رواج السلعة و لكن و إن حدث لهم شيء من ذلك فهو الحرام كل الحرام و الإجرام كل الإجرام.

---

(١) رواه ابن ماجة والدرامى والحاكم وغيرهم
(٢) العرصة : البقعة الواسعة بغير بناء من دار وغيرها
(٣) أخرجه الإمام أحمد
(٤) الأعراف آية (٩٦)

ما يؤخذ من الحديث

١ – تحريم الأحتكار دفعا للضرر عن الناس و ذلك عملا بالقاعدة المشهورة " لا ضرر و لا ضرار " من حديث رسول الله (ﷺ) [(١)]

٢ – المحتكر مذموم و منبوذ من المجتمع و ملعون من الله عز و جل على لسان رسول الله (ﷺ) حيث قال " المحتكر ملعون " [(٢)] و اللعنة هى الطرد من رحمة الله عز و جل.

٣ – مال المحتكر مهما كان كثيرا فهو منزوع البركة لأنه حراما وإن بدا له أن كثرة المال فى صالحه و لكن فاته أن رسول الله (ﷺ) قال : " لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت[(٣)] النار اولى به " [(٤)]

و من هنا كان توجيه رسوا الله (ﷺ) و تحذيره للتجار حيث قال (ﷺ) : أيها التجار أبشروا فاجتمعوا فقال أبشروا بالعذاب الأليم إذا تركتم الصدق و الأمانة " و قال (ﷺ) " التاجر الصدوق الأمين مع النبيين و الصديقين و الشهداء " [(٥)].

و فى هذا القدر الكفاية و بالله التوفيق و منه الهداية .

---

(١) أخرجه أبن ماجة و أحمد و مالك
(٢) أخرجه أبن ماجة و الدرامى
(٣) السحت : حرام لا يحل كسبه و هو يسحت البركة و يذهبها
(٤) أخرجه الترمذى و أحمد
(٥) أخرجه الترمذى و الدرامى

الحديث الثانى عشر

عن انس رضى الله عنه : قال رسول الله (ﷺ) " لايتمنين أحدكم الموت لضر أصابه فإن كان لابد فاعلا فليقل اللهم أحينى ماكانت الحياة خير لى وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرا لى" . (متفق عليه ــ أخرجه الإمامان البخارى ومسلم، كماأخرجه ألأئمة الترمذى والنسائى وأبو داود وأحمد)

الراوى الأعلى للحديث

سبق ترجمته

وقفه مع لغويات الحديث

(قوله لايتمنين أحدكم الموت) لاناهية ، يتمنين فعل مضارع مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة وهوفى محل جزم ، (أحد) فاعل ويشمل الرجل والمرأة ، (كم) مضاف إليه ، (الموت) مفعول به والتمنى ما يتمنى الإنسان حدوثه أى كان شأنه وحقيقته (الضرر) جار ومجرور ، (أصابة) نزل به أمرا من الأمور المهمة ، (أصاب) فعل ماضى والهاء مفعول به والفاعل ضمير مستتر تقديره هو والقرآن الكريم سمى الموت مصيبة قال تعالى " فأصابتكم مصيبة الموت " [1] . والجدير بالذكر هنا أن القرآن الكريم ذكر قوله تعالى " كل نفس ذائقة الموت " ثلاث مرات واحدة فى آل عمران وأخرى فى سورة الأنبياء وثلاثة فى سورة العنكبوت ولكن لماذا ثلاث مرات والإجابة عن هذا السؤال فى ما يبدولى أن الله تعالى ذكر هذه المرات ليؤكد حقيقة كبرى ذكرها فى قوله تعالى " الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعف وشيبة "[2]

فهذه ثلاث مراحل حتى يتم التطابق بينهم وبين الثلاث السابقة فى إذاقة الموت ليقول الله للناس جميعا أن الموت يأتى فى أى وقت وفى أى مرحلة من مراحل عمر الأنسان ولكنه غيب لايعلم وقت مجيئه إلا الله قال تعالى " قل لكم ميعاد يوم لاتستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون " [3] .

---

(١) سورة المائد آية (١٠٦)
(٢) سورة الروم آية (٥٤)
(٣) سورة سبأآية (٣٠)

قوله (اللهم أحيني) يعني يا الله أحيني وذلك لأن الميم عوضا عن ياء الندا .
أماتعبيره في قوله "اللهم أحيني ما كانت الحياة خير لي " وذلك لأن الحياة متحققة فناسب أن يذكر (ما) وأما قوله (فتوفني إذا كانت الوفاه خير لي " فناسب التعبير بإذا لأن الموت لم يأتي بعد وأذا ظرف لما يستقبل من الزمان كما قرر ذلك اللغويون .
وإني أقول دائما لكل إخواني الذين يشتغلون بالدعوة إن الإسلام يتكون من مربع :
١ ـــ القرآن ٢ ـــ السنة ٣ ـــ السيرة ٤ ـــ اللغة

شرح الحديث

هذا الحديث أصل من أصول الإيمان بالقضاء والقدر ، والإيمان بالقدر لايتحقق إلابالرضا عن الله في كل أمر اخترة لنا . والذي يتمنى الموت معترض على خالق الموت والحياة ، التي قد يكون فيها النجاة ، مصدقا لقول المصطفى (ﷺ) " خيركم من طال عمره وحسن عمله "(١) .

الموت الذي قد يكون فيه النجاة لأنه لايدرى إذا أمتدت به الحياة أيحسن أم يسيء فيجب تفويض الأمر إلى علام الغيب مصدقا لقول الحق سبحانه وتعالى " ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب عليه من حبل الوريد "(٢)
ولا يتحقق ذلك إلا بالرضا الكامل بما قدر الله وقضى وتلك هي السعادة الحقيقية التي قال فيها أحد علماء السلف الصالح " إنا نعيش في سعادة لو علم بها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف "
وهي التي يقول فيها أحد الشعراء :

ولست أرى السعادة جمع مال ونكن التقى هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد زاخرا وعند الله للاتقى مزيد

ولذلك أيها الداعية الكريم أرجو أن تتأمل معى قول النبي صلوات ربي وسلام عليه أن الله بقسطه (٣) جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الحزن في الشك والسخط وإذ عاش

---

(١) أخرجه الترمذي وأحمد والدرامي
(٢) سورة ق آية (١٦)
(٣) بقسطه : أي عدله

العبد فى مقام الرضا تدخل فى قوله تعالى : " رضى الله عنهم ورضوا عنه [١] اللهم أجعلنا منهم ومعهم .
وينبغى للمؤمن ان يستعد للموت فى كل لحظة ، ولكن يعترض على هذا الحديث بالحديث الآخر الذى أخرجه الأمام مالك فى الموطأ عن عمر بن الحطاب الذى يقول " اللهم كبرت سنى وضعفت قوتى وانتشرت رعيتى فأقبضنى إليك غير مضيع ولا مفرط " فقوله هذا يدل على جواز تمنى الموت .
والجواب على ذلك جاء فى حديث ابن حيان الذى يقول فيه النبى(ﷺ) لايتمنين أحدكم الموت لضر اصابه من أمر الدنيا "
فقوله من أمر الدنيا يدل على (أن المؤمن يجوز له تمنى الموت إذا خاف ضياع أمر من امور الأخرة التى سيسأل عنها أمام الله تعالى . فقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول (اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك وموتا فى بلد رسولك " فقالت له ابنته حفصة إذا أردت ذلك فاذهب لتجاهد فى سبيل الله ، أما ان ترزق الشهادة وأنت هنا فى المدينة فمن أين لك ذلك يأبن الخطاب ؟؟؟ فقال لها يابنيه ليس ذلك على الله بعزيز .
وذات يوم قال لها يابنيتى لقد رأيت فى المنام أن ديك نقرنى أربع نقرات فسال منى الدم . فقالت له خير ولكن أولها [٢] لى أنت فقال ما أرانى إلا أطعن طعنات اموت بسببها ، فما مرت إلا أيام حتى طعنه أبو لؤلؤة المجوسى حينما كان يصلى الفجر بالمسلمين ثم حملوه إلى بيته وقد أغمى عليه ، فلما أفاق قال هل صلى المسلمون الفجر ولم يسأل عن الذى طعنه فلم سأل عن ذلك ؟ فقالوا له أنه لؤلؤة فقال وهو مسرورا " الحمد لله الذى لم يجعل لقاتل عمر بن الخطاب سجدة يحتج بها عليه يوم القيامة "
كما أنه فى الاستعداد للموت حسن صلة بالله عز وجل وفى ذلك يقول الأمام الشافعى :

ولدتك أمك ياا بن آدم باكيا — والناس حولك يضحكون سرورا
فأعمد إلى عمل تكون إذا بكوا — فى يوم موتك ضاحكا مسرورا

ويقول :

لعمرك لو كشفت الترب عنهم — لما عرف الغنى من الفقير
ولامن كان يلبس ثوب صوف — من الملك المتوج بالحرير

وذات يوم مرت بالشافعى جنازة فقال له أصحابه ياشافعى لو أن النعش تكلم فماذا يقول قال الشافعى لو تكلم النعش لقال :

أنظر إلى بعين عقلك — فأنا المهيأ لحملك
أنا سرير المنايا كم سار — مثلى بمثلك

---

(١) سورة البينة آية (٨)
(٢) أولها : فسرها

مايؤخذ من الحديث

١ ـ النهى عن تمنى الموت .
٢ ـ الحياة نعمة يجب أن تستغل فى طاعة الله .
٣ ـ استعداد المؤمن للموت دائما ويظهر ذلك فى آخر قصة نبى الله يوسف الصديق عليه السلام فلم يطلب الموت وهو فى الجب " حين القى فى الجب " ولم يطلبه وهو فى السجن فلما جاءه الملك وأقبلت عليه الدنيا وتربع على عرش مصر قال " رب قدءاتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولى فى الدنيا والأخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين " [١]

وفى هذا القدر الكفاية وبالله التوفيق ومنه الهداية

(١) سورة يوسف آية (١٠١)

الحديث الثالث عشر

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله (ﷺ) الجهاد واجب عليكم مع كل أمير برا كان أوفاجرا وأن هو عمل الكبائر ، والصلاة واجبة عليكم خلف كل مسلم برا كان أوفاجرا وإن هوعمل الكبائر ، والصلاة واجبة عليكم على كل مسلم يموت برا كان أوفاجرا وإن عمل الكبائر (أخرجه أبو داود)

الراوى الأعلى للحديث

أبو هريرة وقد سبقت ترجمته

وقفة لغوية مع الحديث

الجهاد : الجهاد فى اللغة بذل الجهد والطاقة ويكون بضم الجيم من الجهد أوبفتحها وهو الجهاد ، واللفظان متقاربان فى المعنى ويشمل الجهاد الماديات والمعنويات وهو شرعا الدعوة إلى دين الحق وهو دين الإسلام وبذل النفس والمال من أجل ذلك ومن أجل إعلاء كلمة الله قال الله عز وجل " انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم أن كنتم تعلمون " [١] . ولم يكن بمكة جهاد لأنهم كانوا أهل شرك وكان المسلمون مستضعفين فى مكة فلما هاجروا إلى المدينة وقامت دولة الإسلام فرض الجهاد حينئذ وكانت أول آية نزلت فيه
" أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير " [٢] والجهاد فى الإسلام يحتل منزلة كبيرة ومكانة عظيمة فهو ذروة سنامه وأساس مبادئه وطريق الحفاظ على بلاد الاسلام والمسلمين فهو من أهم مبادئ الإسلام العظمى لأنه سبيل العزة والكرامة والسيادة لهذا كان فريضة محكمة وأمرا ماضيا إلى يوم القيامة

---

(١) سورة التوبة اية (٤١)
(٢) سورة الحج اية (٣٩

ويؤكد هذا قوله (ﷺ) الجهاد ماض منذ بعثنى الله إلىَ أن يقاتل آخر أمتى الدجال لايبطله جور جائر ولاعدل عادل والإيمان با لأقدار [٣] وقال (ﷺ) " ماترك قوم الجهاد إلا ذلوا وغزو فى عقر دارهم وخذلهم الله وسلط عليهم شرار الناس وأراذلهم "
ومما يؤكد فرضية الجهاد ما جاء فى القرآن الكريم فى قوله تعالى " وجاهدوا فى الله حق جهاده " [٤] وقال تعالى " إن الله أشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون " [٥]

(٣) أخرجه أبوداود
(٤) سورة الحج آية (٧٨)
(٥) سورة التوبة آية (١١١)

تأملات فى شرح الحديث

١ ـ فضل الجهاد: وردت احاديث كثيرة فى فضل الجهاد أذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر منها " أنه قد سئل رسول الله (ﷺ) أى العمل أفضل ؟ قال : إيمان بالله ورسوله قيل ثم ماذا ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله . قيل ثم ماذا ؟ قال حج مبرور " [١] ، وكذلك قوله (ﷺ) مبيناً عظمة الجهاد وكثرة ثوابه لغدوة [٢] أوروحة [٣] فى سبيل الله خير من الدنيا ومافيها " [٤]

٢ ـ منزلة المجاهد المخلص الذى يضحى بنفسه فى سبيل الله هى التمتع بالخلود والرفعة والمكانة عند الله تعالى فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر فى النعيم العظيم

٣ ـ المجاهد يصل بجهاده إلى أن يكون فى مصاف الأنبياء والمرسلين الذين جاهدوا فى سبيل الله ، قال تعالى " ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما ءاتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون " [٥]

٤ ـ إن الله نهانا أن نقول عن الشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله أنهم أموات فقال عز وجل " ولاتقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لاتشعرون "[٦]

٥ ـ أنواع المجاهدين كما بينها رسول الله(ﷺ) فى قوله القتل ثلاثة رجل مؤمن قاتل بنفسه وماله فى سبيل الله حتى إذا لقى العدو قاتلهم حتى يقتل فذلك الشهيد المفتخر فى خيمة الله تحت عرشه لايفضله النبيون إلا بدرجة النبوة " ورجل مؤمن قرف [٧] على نفسه من الذنوب والخطايا جاهد بنفسه وماله فى سبيل الله حتىإذا لقى العدو قاتل حتى يقتل فتلك ممصمصة [٨] محت ذنوبه وخطاياه

---

(١) متفق عليه أخرجه الإمامان البخارى ومسلم كما أخرجه الأئمة الترمذى والنسائى وأحمد والدارمى
(٢) الغدو' : السير اول النهار
(٣) الروحة : السير آخر النهار
(٤) متفق عليه أخرجه الإمامان البخارى ومسلم كما أخرجه ابن ماجة وأحمد
(٥) سورة آل عمران آية (١٦٩ ، ١٧٠)
(٦) سورة البقرة آية (١٥٤)
(٧) قرف الذنب وأقترفه : إذاكسبه عمله
(٨) مصمصة : اى مطهرة من دنس الخطايا

إن السيف محاء [٩] للخطايا وأدخل الجنة من أى أبواب الجنة شاء فإن لها ثمانية أبواب ولجهنم سبعة أبواب وبعضها أفضل من بعض ورجل منافق جاهد بنفسه وماله حتى إذا لقى العدو قاتل حتى يقتل فذاك فى النار إن السيف لا يمحوا النفاق " [١٠] .

والجهاد واجب عليكم مع كلّ أمير أى مسلم برا كان أو فاجرا أن هو عمل الكبائر وفجوره إنما هو على نفسه والإمام لاينعزل بالفسق ، والصلاة يعنى المكتوبة .

والصلاة [١١] واجبة عليكم خلف كل مسلم برا كان أو فاجرا وإن هو عمل الكبائر لأنه مرتكب الكبائر لايخرج بارتكابها عن الإيمان وهذا مذهب أهل السنة والجماعة وكذلك جهود علماء المسلمين سلفا وخلفا [١٢] وهو الرأى الذى تستريح له النفس .

ومعنى الواجب هنا قد يكون بمعنى الجواز وقد يكون بمعنى الفرد وهو الغالب وخاصة فى هذه الأيام .

والصلاة واجبة عليكم يعنى صلاة الجنازة واجبة على كل مسلم يموت برا كان أو فاجرا وإن هو عمل الكبائر والأحاديث فى فضل صلاة الجنازة كثيرة وهى فرض كفاية ومعنى فرض كفاية أنه إذا قام به البعض سقطت عن الباقين فإذا لم يقم به أحد أثم الجميع والحديث يركز على ثلاث قضايا قضية الجهاد وصلاة الجماعة وصلاة الجنازة .

والحق الذى لاشك فيه أن الحديث يدل على بلاغة النبى(ﷺ) وأن الله آتاه جوامع الكلم

---

(٩) محاه الخطايا : كثير المحو لها لايبقى منها شيىء

(١٠) أخرجه أحمد والدارمى

(١١) الصلاة هى الصلاة المفروضة

(١٢) بخلاف الخوارج فأنهم كفروا مرتكب الكبيرة وأما المعتزلة فقالوا هو فى منزلة بين الإيمان والكفر والصحيح مذهب أهل السنة

مايؤخذ من الحديث

١ ـ الجهاد واجب على كل مسلم فى حدود قدراته .
٢ ـ يقدر جهاد المسلم وقوة عزيمته تكون عزته وكرامته والمسلم الحق هو الذى يعتز بربه على حد ما قال القائل

أجعل بربك كل عزك يستقر ويثبت فإذا اعتززت بمن يموت فإن عزك ميت

٣ ـ أرتكاب الكبائر لايخرج المسلم عن الإسلام حتى إذا مات ولم يتب منها قال صاحب كتاب الجوهرة :

ومن يمت ولم يتب من ذنبه فأمره مفوض لربه

ويقول أيضا :

وإن يعذب فبمحض العدل وإن يثّب فبمحض الفضل

٤ ـ طاعة ولى الأمر واجبة إذا لم يأمر بمعصية فإذا أمر بها فلا طاعة له علينا لقوله (ﷺ) " لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق "(١)
٥ ـ سعة فضل الله ورحمته ومن فضله علينا أنه جعل الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا وأنزل فى الأرض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه ، وهذا حديث رسول الله (ﷺ) وهو متفق عليه فى الصحيحين من حديث البخارى ومسلم ، كما رواه أيضا الإمام الدارمى .
٦ ـ الصلاة جائزة خلف كل مسلم برا كان أوفاجرا .
٧ ـ أكرام الله للميت بالصلاة عليه ولوكان مرتكبا للكبائر .
٨ ـ تنبيه لابد أن نفرق بين الجهاد والأرهاب فأحدهما فى المشرق والآخر فى المغرب وأن كان يحلوا لبعض الناس أن يخلطوا بينهم فيسمون الأرهاب جهاد وهذا يدل على سوء فهما
للإسلام وعدم بصيرة بقضاياه ولعل ذلك ساعد أعداء الإسلام فى اتهاماتهم للإسلام بأنه دين يشجع على الأرهاب وهذا لايقول به عاقل من العقلاء أبدا

وفى هذا القدر الكفاية وبالله التوفيق ومنه الهداية

(١) أخرجه أحمد والترمذى

الحديث الرابع عشر

عن سليمان بن بريده عن أبيه قال : كان رسول الله (ﷺ) إذا أمر أميرا على جيش أوسرية أوصاه فى خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال اغزوا باسم الله فى سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزو ولا تغلوا ولا تغدروا ولاتمثلوا ولاتقتلوا وليدا وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أوخلال فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى الإسلام فأن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم أدعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فإن ابوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذى يجرى على المؤمنين ولا يكون لهم فى الغنيمة والفىء شىء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين فأن هم أبوا فسلهم الجزية فأن هم أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم فأن هم أبوا فأستعن بالله وقاتلهم وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمه الله وذمة نبيه فلا تجعل ذمة الله ولا ذمة نبيه ولكن أجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك فإنكم إن تخفروا ذممتكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم علىحكمك فإنك لاتدرى أتصيب حكم الله فيهم أم لا "[1] .

الراوى الأعلى للحديث

" بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن عبد الحارث " وكنيته أبو سهل وهوصحابى .

أخرج ابن سعد عن عاصم الأسلمى قال لما هاجر رسول الله (ﷺ) من مكة إلى المدينة فأنتهى إلى الغميم أتاه بريدة بن الحصيب فدعاه رسول الله (ﷺ) إلى الإسلام فأسلم هو ومن معه وكانوا زهاء ثمانين بيتا فصلى خلفه وذاك يدل على أن الرجل كان له بين قومه منزلة عظيمة وهناك صحابى آخر يسمى أبو بردة بن أبى موسى وهو اسم أبى موسى عبد الله بن قيس الأشعرى .

---

[1]) أخرجه مسلم والترمذى وأبو داود وأحمد والدرامى

وقفة مع لغويات الحديث

أمر أميرا : أختار واحدا منهم فجعله أميرا عليهم يأتمرون بأمره وينتهون بنهيه وكان الأختيار قائما على مبدأالقائل "
وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب " ولا شئ غير ذلك
باسم الله : يعنى أبدءواغزوكم باسم الله معتقدين قبل الغزو وبعد الغزو أن الذى يمنح النصر هو الله سبحانه وتعالى .
لا تغلو: ولا تخونوا واصل الغلول هو الأخذ من مال الغنيمة قبل القسمة وهوحرام سيأتى الكلام عنه بعد ذلك .
ولا تغدروا ــ (الغدر) : عدم الوفاء بالعهد ولذلك قال (ﷺ) " ينصب لكل غادرا لواء يو القيامة فيقال هذه غدرة فلان" [١]
تمثلوا : مأخوذ من المثلى وهوتشويه جسد الميت بعد الموت وقد مثل المشركون يوم حد ببعض شهداء المسلمين لكن النبى (ﷺ) نهى عنها [٢]

وقال " أياكم والمثلى ولو بالكلب العقور " ولو قارنا هذا الحديث بما يحدث الأن فى شهداء فلسطين لوقفنا على إجرام اليهود قتلة الأنبياء وسافكوا الدماء وناقضوا العهود ولوقفنا فى الجانب الآخر على عظمة الإسلام ورحمته لغير المسلمين ولوجدنا فى هذا الحديث دليل حق وبرهان صدق على حسن معاملة الإسلام التى فاقت كل الكلمات وتجاوزت كل العبارات ويؤكد ذلك ماكان بين رسول الله (ﷺ) وبين يهود المدينة من معاهدة السلام التى أسسها رسول السلام فنقضها اليهود وأعلنوا عدائهم للإسلام فأخرجهم رسول الله (ﷺ) من المدينة المنورة وذلك لأن قلوب المسلمين حينئذ كانوا على قلب رجل واحد .

ولا تقتلوا وليدا : نهى عن قتل الأطفال وذلك لأن الإسلام نهى عن ترويع الآمنين الأقوياء فكيف بقتل الأطفال الأبرياء .
قوله كف عنهم : امتنع عن قتلهم أوإيذاءهم .

---

(١) اخرجه البخارى والترمذى وابن ماجه واحمد

(٢) فى المعجم الكبير للطبرانى

الغنيمة والفيء : الفرق بين الغنيمة والفيء أن الغنيمة-ما أخذت بقتال والفيء ما أخذ بغير قتال قال تعالى " ما افاء الله علي رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل " [٣]

ابوا : امتنعوا .

الجزية : ضريبة يدفعها اليهود والنصارى فى مقابل حفظ الجيش الإسلامى لهم .

أهل حصن : ما يتحصن به فى أثناء القتال وغيره وقد أشار القرآن إلى ذلك فى قوله عن اليهود " لايقاتلونكم جميعا إلا فى قرى محصنة أو من وراء جدر "[٤]

ذمة الله : عهده وميثاقه ومن هنا قولهم عن أهل الكتاب أنهم أهل ذمة .

قوله تخفر : تنقض وهى مأخوذة من الخفر

---

(٣) سورة الحشر آية (٧)

(٤) سورة الحشر آية (١٤)

شرح الحديث

هذا الحديث صدر عن صاحب الشرع يدل على عظمة الإسلام وإعطاء حقوق الإنسان والعطف على النساء والصبيان وهذا أفضل كثيرا من اللوائح الصادرة عن المؤتمرات الدولية فى هذا العصر الحديث لأن أى مسلم ينفذ ذلك تدينا وطاعة لله ورسوله إلا أننا نجد بعض الأشياء فى هذه الوصية كانت مناسبة لظروف الناس والزمن الذى يعيشون فيه .
وعلى كل حال نسأل الله سبحانه وتعالى أن يكون للإسلام الغلبة وتحكم الدنيا بشريعة أرحم مخلوقات الله سيدنا محمد (ﷺ) . النبى الأمى الذى قال فيه رب العزة " وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى " (١)
قال تعالى " لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فأن تولوا فقل حسبى الله " (٢) وقال(ﷺ) " إنما أنا رحمة مهداة " (٣)
وصدق الله العظيم حين قال " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين "(٤)
ويبقى سؤال يقول ماهو الحل الصحيح والأمثل لمشكلات هذا العالم الفسيح شرقية وغربية ، شمالية وجنوبية ، قوية وضعيفة ، غنية وفقيرة ؟
والجواب عن ذلك فى قوله تعالى " فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرج مما قضيت ويسلموا تسليماً " (٥) .
وقوله (ﷺ) تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنة نبيه "(٦)

---

(١) النجم آية (٣ ، ٤)
(٢) التوبة آية (١٢٨، ١٢٩)
(٣) أخرجه الدارمى فى السنن
(٤) الأنبياء اية (١٠٧)
(٥) النساء آية (٦٥)
(٦) أخرجه الإمام مالك فى الموطأ

ما يؤخذ من الحديث

١ ــ الدقة وحسن الختيار فيمن يولى أميرا على جماعة من الناس .
٢ ــ الأمر بتقوى الله للأمراء ومن معهم والأمر بالتقوى يجب أن يكون أمرا مستمرا بين كل مسلم ومسلم محكوما كان أو حاكم .
٣ ــ العدالة المطلقة فى معاملة المسلمين لغير المسلمين فالعزة الحقيقية فى أخلاق الإسلام ومبادئه ويرحم الله الفاروق عمر الذى قالها عبارة مدوية باقية فى سمع الزمن إلى يوم القيامة قال " كنا أذلاء فأعزنا الله بالإسلام فإذا ابتغينا العزة فى غيره أذلنا الله " اى عبارة هذه التى توجتها العظمة وأكدها الإيمان العمرى الصادق فعمر استاذ العدالة فى كل زمان ومكان .
٤ ــ العفو عمن أجاب داعيا الله ودخل فى الإسلام عن ثقة ويقين وأحب أن اؤكد أنه أذا كان من عيب فهو فى المسلمين وليس العيب فى الإسلام أبداً وذلك لأنه دين الله قال تعالى " إن الدين عند الله الإسلام " [(١)]
٥ ــ التخطيط والإعداد لملاقاة المعاندين وظاهرى العداء قال تعالى " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم " [(٢)]
٦ ــ الوفاء بالعهد والوعد مالم ينقض ، قال تعالى " وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا "[(٣)]
٧ ــ الألتزام بحكم الله وحكم رسوله (ﷺ) والتمسك بهما إلى ابعد الحدود فإنه فى التمسك بهما عز الدنيا وسعادة الآخرة .
٨ ــ فتح الإسلام لباب الأجتهاد مع التقيد بشروطه ومن أهمها:
أن يكون فى المتاح والمباح وأن يكون المجتهد من الراسخين فى العلم الذين من الله عليهم بذلك وإلا يكون مخالفا لنص صريح من الكتاب والسنة

وفى هذا القدر الكفاية وبالله التوفيق ومنه الهداية

---

(١) سورة آل عمران آية (١٩)
(٢) سورة الأنفال آية (٦٠)
٣) سورة الأسراء اية (٣٤)

الحديث الخامس عشر

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال " الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا حرم حلالا أو أحل حراما والمسلمون على شروطهم إلا شرطا حرم حلالا أو أحل حراما " (أخرجه أبو داود والترمذى)

الراوى الأعلى للحديث

تمت ترجمته فيماسبق

وقفة مع لغويات الحديث

الصلح فى اللغة : فض النزاع مطلقا وشرعا عقد وضع لدفع النزاع بين المتخاصمين والصلة بين المعنى اللغوى والمعنى الشرعى صلة وثيقة والصلح و المصالحة و الإصلاح بين الناس كلها متقاربة فى المعنى قال تعالى " لاخير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس " [١]
الصلح : مبتدأ ، " جائز " خبر و " بين المسلمين " : بين ظرف المسلمين مضاف إليه وشبه الجملة فى محل نصب الحال . قوله " والمسلمون على شروطهم " كلمة " على " تفيد الاستغلاء والتمكن والشروط جمع شرط وهى كل ما اتفق عليه بين المسلمين .

شرح الحديث

هذا الحديث يتضمن قاعدة كبرى والمسلمون فى أشد الحاجة إليها وخاصة فى هذا العصر الذى نعيش فيه والذى قد كثرت فيه الخلافات والفتن بين الناس وهذا هو الذى أشار عليه النبى (ﷺ) فى قولة " تكون فتن كقطع الليل المظلم " [٢] فقال على بن أبى طالب فما المخرج منها يارسول الله فقال : كتاب الله وسنتى . ويزداد هذا المعنى وضوحا فى قوله تعالى " فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم " [٣] .

---

(١) سورة النساء اية (١١٤)
(٢) أخرجه الإمام مسلم والترمذى وابوداود وأبن ماجة وأحمد
(٣) سورة النساء أية (٦٥)

والصلح له مجالات كثيرة وأنواع متعددة من أهمها الصلح بين أفراد الأسرة وكذلك أفراد المجتمع وذلك لأن الأسرة هى النواة الأولى للمجتمع كما يقرر ذلك الإسلام وكذلك علماء الإجتماع فإذا وقع خلاف بين المسلمين مثلا بين الزوج وزوجته فقد أصبح الصلح واجبا قال تعالى " وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير " (١) . ويتحقق الصلح بقدر إخلاص من يقومون به وفى الصحيح أن رسول الله (ﷺ) قال له رجل يسمى أبو كاهل يارسول الله هلكت نفسى وأصلحت بين اثنين وقلت لهما من الخير ما لم يقل أحدهما فى الآخر وأظن أن هذا كذبا يستوجب هلاكى فقال النبى (ﷺ) يا أبا كاهل " أصلح بين الناس ـ أصلح بين الناس " وقال صلى الله عليه وسلم " ليس بالكاذب من أصلح بين الناس فقال خيرا أو نمى خيرا " (٢) يضاف إلى ذلك قوله (ﷺ) " مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " (٣) . والصلح بهذه المعانى السامية يشترط فيه ألا يحل حراما ولا يحرم حلالا فالصلح على الخمر أوالربا أو تجارة المخدرات مثلا كله ممنوع لايقره الإسلام ولكننا نلاحظ سلبيات كثيرة وقعت بين الناس أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر أن اصبح كل فرد يقول بلسان حاله " نفسى والطوفان " وهذا منطق الأنانية الكاملة الذى لايعترف به الإسلام . ولا بد عند الصلح أن نضع أمام أعيننا قوله (ﷺ) فى الحديث المتفق عليه والذى رواه النعمان بن بشير " الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لايعلمهن كثير من الناس فمن أتقى الشبهات أستبرأ لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله فى أرضه محارمه

---

(١) سورة النساء اية (١٢٨)
(٢) أخرجه الترمزى وأبوداود وأحمد
(٣) أخرجه مسلم وأحمد

ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب [١] . فالصلح تحت مظلة الإسلام يحقق للمجتمع الحياة الآمنة الكريمة فى كل زمان ومكان .

وبعد هذا الشرح أرى أنه لابد من ذكر معانى الصلح التى قررها العلماء وهى ستة

١ـ صلح بمعنى البيع وهوأن يدعى شيئا فى يد رجل فيصالح عنه على دراهم أو دنانير أى أن الصلح تم على عين غير المدعاة وكان عوض الصلح ذهبا أو فضة فهو بيع بلفظ الصلح ويسمى صلح المعاوض .

٢ ـ صلح بمعنى الهبة : وهو أن يدعى الرجل عيبا فى يد رجل ثم يصالح عنها على بعضها فيكون الباقى هبة .

٣ ـ صلح فى معنى الإجارة : وهو أن يجرى الصلح من العين المدعاة على منفعة لغير العين المدعاة كخدمته لغيره مدة معينة أو سكن فى بيت بعينه .

٤ ـ صلح بمعنى الإعارة : وهو أن يصالح على منفعة العين المدعاة فإن عين مدة وإعارة مؤقتة وإلا فمطلقة .

٥ ـ صلح بمعنى الإبراء والحطيطة : وهو أن يدعى دراهم أو دنانير فى ذمة رجل فيصالح منها على بعضها ويبرىء عن البعض الآخر ومثال أبرأتك من خمسمائة من الألف الذى لى عليك أو نحوها .

٦ ـ صلح بمعنى السلم [٢] وهو أن يصالح عن شىء يعوض موصوف فى الذمة كثوب موصوف بصفة السلم .

---

(١) متفق عليه أخرجه الإمامان البخارى ومسلم ، كما أخرجه الترمذى وأبن ماجة وأحمد والدرامى

(٢) والسلم هى أو السلف بمعنى واحد وهو بيعا مؤجلا فى الذمة إلى أجل معلوم

مايؤخذ من الحديث

١ ــ حرص الإسلام على قيام المودة والمحبة والتآلف بين الناس بصفة ترضى الله سبحانه وتعالى ورسوله بحيث تكون خاضعة لقوله تعالى " لاتظلمون ولا تظلمون " (١)
٢ ــ الصلح لايكون إلا فيما أحله الله ويعنى هذا ، البعد عن الحرام وعن المشتبهات .
٣ ــ تحريم الصلح الذى يؤدى إلى غضب الله وسخطه لأن هذا فيه ظلما والنبى (ﷺ) يقول " الظلم ظلمات يوم القيامة " (٢)
ويقول الشاعر :

لاتظلمن إذا ماكنت مقتدرا   فالظلم ترجع عقباه إلى ندم
تنام عيناك والمظلوم منتبها   يدعو عليك وعين الله لاتنم

٤ ــ وجوب الوفاء بما يلتزمه الإنسان من شروط وهذا واضحا فى الحديث الشريف فى قوله (ﷺ) " والمسلمون على شروطهم " ــ سبق تخرجه ــ ويعنى هذاأن يكون المؤمن صادقا كل الصدق فى أقواله وافعاله .
٥ ــ عدم الوفاء بأى شرط يترتب عليها إرتكاب محرم وذلك يقتضى البعد عن الحرام بكل صوره وانواعه والمجتمع الذى يتحرى الحلال هو المجتمع الذى لايشكو قلقا ولا اضطرابا وإنما يعيش فى سلام دائم واستقرار يتمكن به كل واحد من تحقيق السعادة لنفسه ولأهله ولمجتمعه فى الدنيا والآخرة .
وفى صحيح مسلم قال الرسول (ﷺ) محددا معنى السعادة " افلح من أسلم ورزق كفاف وقنعه الله بما آتاه " (٣)
وفى هذا المعنى يقول الشافعى :

رأيت القناعة رأس الغنى   فصرت بأزيالها ممتسك
فذا لا يرانى على بابه   وذا لايرانى به منهمك
فصرت غنى بلا درهما   أمر على الناس شبه ملك

ويقول الآخر :

ولست أرى السعادة جمع مالا   ولكن التقى هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد زخرا   وعند الله للأتقى مزيد

وفى هذا القدر الكفاية وبالله التوفيق ومنه الهداية

(١) البقرة آية (٢٧٩)
(٢) متفق عليه أخرجه الإمامان البخارى ومسلم كما أخرجه الأئمة الترمذى وأحمد والدرامى
(٣) أخرجه مسلم والترمذى وأحمد

الحديث السادس عشر

عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه قال : أن رجلا من اصحاب النبى (ﷺ) توفى يوم خيبر فذكروا ذلك لرسول الله (ﷺ) فقال : صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال : إن صاحبكم غل فى سبيل الله ففتشنا متاعه فوجدنا خرزا من خرز يهود لايساوى درهمين " (رواه أبو داود والنسائى وأحمد)

الراوى الأعلى للحديث

زيد بن خالد الجهنى من قبيلة جهينة وكنيته أبو عبد الرحمن وهو الراوى الذى روى الحديث مباشرة عن رسول الله (ﷺ) وقبيلة جهينة هى قبيلة معروفة ، استشهد منها كثير من أصحاب النبى (ﷺ) وزيد واحد من هؤلاء الذى شهد معارك كثيرة ولك يرزق الشهادة ولقد أسلم قبل الحديبية وحضرها مع النبى (ﷺ) وهو من أصحاب بيعة الرضوان التى قال الله فيها " لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة " (١) ومن يوم الفتح كان يحمل لواء جهينة وهو فتح مكة وذلك يؤكد إقدامه على الجهاد فى سبيل الله وتمسكه به وقد توفى رضى الله عنه سنة ثمانية وستون من الهجرة فى المدينة وهو ابن خمسة وثمانون سنة ولقد روى عن النبى (ﷺ) ٨١ حديثا اتفق البخارى ومسلم على خمسة منها وانفرد مسلم بثلاثة منها.

لغويات الحديث

غل : خان وأصلها فى اللغة الأخذ من مال الغنيمة قبل القسمة كما قال الله تعالى ": ما كان لنبى أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة " (٢) والكلمة بعد ذلك تستعمل فى الخيانة عامة .

خرز : قوله خرزا هى بفتحتين ما ينتظم من جوهر ولؤلؤ وغيرهما

---

(١) سورة الفتح آية (٨١)

(٢) سورة آل عمران ءية (١٦١)

المعنى العام للحديث

لما ذكر الصحابة رضوان الله عليهم نبأ موت ذلك الرجل قال الرسول (ﷺ) صلوا على صاحبكم والمعنى لا أصلى عليه لذلك بين رسول الله (ﷺ) سبب امتناعه عن الصلاة عليه فقال " إن صاحبكم غل " اى خان فى الغنيمة ، قال أبو عبيدة " الغلول من المغنم خاصة ، ولا نراه من الخيانة والحقد وفى الحديث " لاإغلال ولا إسلال [1] هو ابو عبيده القاسم بن سلام أحد علماء اللغة . . والإسلال : مثل السيف فى غير موضعه .

وغل من المغنم : غلولا أى خان ، والغلول أن يأخذ شيئاً من المغنم قبل القسمة يخفيه عن أصحابه والغال يأتى يوم القيامة بما غل يحمله على ظهره ورقبته معذباً بذلك الحمل وذلك أن الجزاء من جنس العمل وكانت العرب ترفع المغادر لواء وكذلك يطاف للجانى مع جنايته .

حكم الغلول

الغلول كبيرة من الكبائر بل هى من أكبر الكبائر التى حرمها الإسلام وذلك لقوله تعالى " ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة " [٢] وهيهات أن يأتى بما غل يوم وقد ذهبت الدنيا بما فيها ولا يبقى إلا الجزاء أما عن حكم متاع الغال فهل يحرق أم لا ؟

(١) أخرجه الدرامى
(٢) سورة آل عمران آية (١٦١)

الجواب أنه لايحرق وذلك لأن النبى (ﷺ) لم يحرق متاع صاحب الشملة ولا أحرق متاع صاحب الخرزات وهو فى الحديث الذى معنا وذلك تلطفا منه ولو كان حرق متاعه واجبا لم يتركه النبى (ﷺ) وكيف يتركه وهو القائل " والذى نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها " (١) إلا أن الرجل مطالب أن يرد ما أخذه من الغنيمة فإن رده فهى توبة له تخرجه من الذنب ولذلك إذا كان بحضور أهل العسكر وللحاكم أن يعاقبه تقديرا للعقوبة التى تناسبه وأختلف العلماء فيما أن تفرق العسكر فقالت جماعة من أهل العلم يدفع الإمام خمسة ويتصدق بالباقى وقد ذهب إلىذلك الرأى" الزهيرى ـ الليث ـ مالك ـ الثورى ومن وافقهم .

وفى تحريم الغلول دليل على اشتراك القائمين عن الغنيمة فلا يحل لأحد أن يستأثر بشىء منها دون الآخر فمن غصب شىء منها أدب اتفاقا. ويدخل فى الغلول هدايا العمال إلى الرؤساء والمرؤسين وحكمه فى الآخرة كحكم الغال سواء بسواء . ولقد روى الإمام مسلم أن النبى (ﷺ) استعمل رجلا على الصدقة يقال له ابن اللتبية على الصدقة (يعنى الزكاة) فقال هذا لكم وهذا لى فقام النبى (ﷺ) فحمدالله وأثنى عليه وقال : ما بال العامل نبعثه فيجى فيقول هذا لكم وهذا أهدى لى ألا جلس فى بيت أمه أو أبيه فينظر أيهدى له أم لا ؟ والذى نفسى بيده لا يأتى بشىء إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته إن كان بعيرا له رغاء أوبقرة لها خوار أو شاة تيعر (اليعار بضم الياء صوت الغنم والماعز) ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتى إبطيه ألا هل بلغت ثلاثا (٢) العفر : بضم فسكون بياض ليس بالناصع الشديد ولكن عفر الأرض وهو وجهها) .

ومن أنواع الغلول منع الكتب عن طلاب العلم إذا كانوا يحافظون عليها ويردونها ويتعلمون منها أما إن كان غير ذلك فهم المفرطون والمضيعون لكتب فإنه يجوز أن تمنع عنهم ويدخل فى كتمان العلم لمن يطلبه لقوله (ﷺ) " من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من النار " (٣)

---

(١) متفق عليه أخرجه الإمامان البخارى ومسلم ، كما أخرجه الترمذى والنسائى وأبوداود وأبن ماجه وأحمد والدرامى
(٢) متفق عليه ـ أخرجه البخارى ومسلم ، كما أخرجه أبو داود وأحمد
(٣) أخرجه الترمذى وأبو داود وابن ماجه وأحمد

وهذا الحديث وأمثاله لو وقفنا أمامه نتأمل لرأينا كيف كان ورع السلف الصالح وتقواهم وأمانتهم . ومما يؤكد قول عمر بن الخطاب حينما جاءه جنوده بديوان كسرى بعد معركة القادسية إن قوم أدوا هذا لأميرهم لأمناء وهكذا ربى الإسلام المسلمين تلك التربية العجيبة وربى أتباعه على الورع والخوف من الله عز وجل وفى ذلك ما يشبه الأساطير التى يحكيها التاريخ .

مايؤخذ من الحديث الشريف

١ ـــ تحريم الغلول بكل صوره وأشكاله .
٢ ـــ محافظة الإسلام للمال العام لأبعد الحدود .
٣ ـــ جواز الصلاة على من غل لأنه لم يخرج من الإسلام بهذا الغلول .
٤ ـــ ومن عظمة الإسلام أنه حافظ على المال بصفة عامة ولو كان غير مال المسلمين

وفى هذا القدر الكفاية وبالله التوفيق ومنه الهداية

الحديث السابع عشر

عن أبى أمامه الباهلى رضى الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ) " ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم تلا (ماضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون) [1]
(أخرجه الترمذى وابن ماجة وأحمد)

الراوى الأعلى للحديث

أبو أمامة : كنية لعدة أشخاص من الصحابة أحدهم باهلى وسائرهم أنصاريون . وراوى الحديث هو أبو أمامة الباهلى نسبة إلى قبيلة مضرية من قيس ومنها سحبان وائل : البليغ المشهور وأسمه صدى بن عجلان صحابى جليل من المكثرين فى الرواية شهد بيعة الرضوان فى الحديبية وشهد وقعة صفين مع على ثم سكن حمص إلى أن مات سنة ٨٦ هـ
وهوآخر من مات من الصحابة بالشام وهذه وقفة قصيرة مع هذا الصحابى ومن أراد الاستزادة فعليه بكتاب مثل كتاب الإصابة لتمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى

وقفة لغوية

١ ــ أوتوا : اعطوا
٢ ــ الجدل : الخصومة بالباطال وهى مأخوذة من جدلت الحبل إذا ضممت بعضة إلى بعض .

(١) سورة الزخرف اية (٥٨)

شرح الحديث

هذا الحديث يتعلق بالعقيدة وخلاصته تبدأ حين نزل قوله تعالى " إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون " [١] فقال عبد الله بن الزبعرى قال خصمت [٢] محمدا ورب الكعبة قال له ألست تزعم أن عيسى بن مريم نبى وتثنى عليه خيرا وعلى أمه ؟ وقد علمت أن النصارى يعبدونه وعزيز يعبد والملائكة يعبدون فإن كان هؤلاء فى النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبى (ﷺ) فأنزل الله تعالى " إن الذين سبقت لهم من الحسنى أولائك عنها مبعدون لايسمعون حسيسها وهم فى ما اشتهت أنفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون " [٣]

والمعنى : وكما ضرب عبد الله بن الزعبرى عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله (ﷺ) بعبادة النصارى إياه " إذا قومك" ــ قريش ــ من هذا المثل يصدون ارتفع لهم جلبة وضجيجا فرحا بما سمعوا من اسكات رسول الله (ﷺ) وقالوا " الهتنا خير أم هو " يعنون أن آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى وإذا كان عيسى من حصب النار كانت آلهتنا هينا ، ومن هذا يتضح الالتواء فى الجدل والمراء فى المناقشة " بل هم قوم خصمون " ذو مهارة فهم يدركون من أول الأمر مايقصد إليه القرآن وما يقصد إليه الرسول (ﷺ) فيلوونه عن أستقامته ويتلمسون شبهه فى عموم اللفظ فيدخلون منها بهذه المماحكات الجدلية التى يتكلم بمثلها كل من عدم الاستقامة وفقد الإخلاص يكابد فى الحق ويهد إلى شبهه فى لفظ أو عبارة أو منفذ خلفى للحقيقة ومن هنا نهى الرسول (ﷺ) عن المراء الذى لايقصد به وجه الحق إنما يقصد به الغلبة من أى طريق.

---

(١) سورة الأنبياء اية (٩٨)
(٢) خصمت : أى انتصرت عليه
(٣) سورة الأنبياء اية (١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣)

خرج رسول الله (ﷺ) على الناس وهم يتنازعون فى القرآن فغضب غضبا شديدا حتى كأنما صب على وجهه الخل ثم قال(ﷺ) " لاتضربوا كتاب الله بعضه ببعض فإنه ما ضل قوم قط إلا أوتوا الجدل " [١] ثم تلا (ﷺ) ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون "

تأملات فى هذا الحديث

١ ــ أجمع العقلاء وأصحاب الفطر السليمة على الأنبياء جميعاً منذ آدم إلى محمد (ﷺ) جاءوا بديناً واحداً يقوم على التوحيد الخالص وهو الإسلام قال تعالى " إن الدين عند الله الإسلام " [٢] وقال جل شأنه " من يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين [٣]

٢ ــ الحق تبارك وتعالى واحد أحد لم يتخذ ولدا قال تعالى " بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم " [٤] وقال المولى عز وجل " وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا " [٥] والمفسرون يسمون هذه الآية بآية العز وحق لهم ذلك فكل مؤمن يعتز بأنه يعبد الله الواحد ويجعل أمله متعلقاً به وحده كما قال القائل

اجعل بربك كل عزك يستقر ويثبت

فإذا اعتززت بمن يموت فإن عزك ميت

٣ ــ قضية التثليث باطلة بكل المقاييس وذلك يقتضى كلاماً كثيراً لا يتسع له المقام وحسبنا هنا أن نشير إشارة مختصرة إلى هذه القضية فأقول لا يوجد كتاب فى الدنيا أنصف المسيح بن مريم كما أنصفه القرآن الكريم فبين حقيقته بيانا لا غموض فيه قال الحق على لسان عيسى " قال إنى عبد الله " [٦] فلم يقل إنى ابن الله ، وقوله تعالى " لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم " [٧] ، وكذلك قوله " لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة

(١) أخرجه الإمام أحمد
(٢) سورة آل عمران اية (١٩)
(٣) سورة آل عمران اية (٨٥)
(٤) سورة الأنعام اية (١٠١)
(٥) سورة الإسراء اية (١١١)
(٦) سورة مريم اية (٣٠)
(٧) سورة المائدة اية (١٧)

وما من إله إلا إله واحد "[1] ، وسورة الإخلاص خير دليل على ذلك قوله سبحانه وتعالى " قل هو الله أحد " * الله الصمد لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد ".
هذا وقد أفادت السنة الصحيحة أن النبى عيسى بن مريم عليه السلام حى وأنه سينزل إلى الأرض فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية وأنه سيتزوج وينجب أولادا حتى تتم له البشرية بكل المقاييس وسيدفن بجوار النبى (ﷺ) وفى هذا أبلغ رد على النصارى الذين ضلوا السبيل يقول الشاعر متهكما بهم :

أعباد عيسى لنا عندكم سؤالا غريبا	فهل من جواب
إذا كان عيسى فى زعمكم إلهاً	ينظم يوم الحساب
فكيف أعتقد تم بأن إله يموت	ويدفن تحت التراب

ما يؤخذ من الحديث

١ ــ وجب التمسك بالدين الإسلامى وأنه لا نجاة إلا بالإسلام .
٢ ــ النهى عن الجدال يفيد حق بحيث يؤدى إلى الخصومة بالباطل ولاسيما فى مجال العقيدة . قال تعالى " ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن " [2]
٣ ــ حماية الإسلام لعقيدة المسلم حتى لاينساق وراء التيارات المنحرفة والأفكار الشاذة التى لاتسمن ولاتغنى من جوع .
٤ ــ ترك الفتن والبعد عنها حتى لاتؤدى بالمسلم إلى الوقوع فى الشك والشطط الذى يؤدى إلى البعد عن سبيل الله عز وجل قال تعالى " وأن هذا صراطى مستقيما فأتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون " [3]

وفى هذا القدر الكفاية وبالله التوفيق ومنه الهداية

(١) سورة المائدة اية (٧٣)
(٢) سورة العنكبوت اية (٤٦)
(٣) سورة الأنعام اية (١٥٣)

الحديث الثامن عشر

عن ابن عباس رضى الله عنه : قال (ﷺ) " لاصرورة فى الإسلام "

(رواه أبوداود وأحمد والحاكم)

الراوى الأعلى للحديث

وهو الصحابى الجليل وحبر الأمة وترجمان القرآن وأحد العبادلة الأربعة (الثلاثة الآخرين هم عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وهم صحابة أبناء صحابة) .

وسيدنا عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله (ﷺ) واسمه عبد الله بن عباس عبد المطلب بن هاشم وقد كان سنه عشر سنين عند وفاة النبى (ﷺ) وقد دعا النبى (ﷺ) له بالتفقه فى الدين وأن يعلمه الله التأويل ودعوة النبى (ﷺ) مستجابة وهنا تأتى أهمية الدعاء ومنزلته فى الإسلام قال (ﷺ) " الدعاء مخ العبادة " [(١)] وقد كانت لهذه الدعوة أثرها البالغ على حياة ابن عباس العلمية وظل عمر بن الخطاب يقربه منه ويدنيه منه فى مجلسه فكان بعض الصحابة وجد فى نفسه شيئا من ذلك وكلم عمر بن الخطاب أن يجيبهم إجابة عملية فدعى ابن عباس ذات يوم فأدخله معه فقال عمر بن الخطاب ماتقولون فى قول الله تعالى " إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا " [(٢)] فسكت بعضهم وقال البعض الآخر إن الله يأمر النبى (ﷺ) إذا فتح عليه مكة أن يكثر من الاستغفار والتسبيح فقال عمر هكذا تقول يا ابن عباس فقال لا فقال فما تقول فقال ابن عباس هذه السورة فى أجل رسول الله (ﷺ) فقال عمر و الله ما أعلم منها إلا ما قد قلت ثم التفت إلى الصحابة وكأنه يقول لهم أعلمتم لماذا أدخل ابن عباس ؟ وكان عمر يقول عن ابن عباس أنه فتى كهول له لسان سؤول وقلب عقول وكلمة عمر له لم تأت من الفراغ وإنما جاءت ترجمة عملية لحياة ابن عباس ومكانته العلميه . ويقول علماء التربية أن العشر سنين الأولى فى عمر الطفل هى التى تشكل

---

(١) رواه الترمذى

(٢) سورة النصر

شخصيته وهذه كلمة حق حيث أن ابن عباس عاش العشر سنين الأولى مع النبى (ﷺ) فشرب من منهل النبوة الصافى وإستقى من نبع الرحمة الفياض وواصل الخبرة العلمية إلى آخر لحظة فى حياته ويقول ابن عباس لما لحق النبى (ﷺ) بالرفيق الأعلى ذهبت إلى رجل من الأنصار فقلت تعالى نجمع حديث رسول الله (ﷺ) فقال الرجل أتظن أن الناس يحتاجون إليك وفيهم فلانا وفلان فقال فتركته وبدأت أجمع حديث رسول الله (ﷺ) حتى إنى كنت أذهب إلى الواحد من الصحابة فى وقت الظهيرة وأنام أمام بيته والريح تصفو على التراب فأنتظره حتى يخرج فأسأله فيقول يا ابن عم رسول الله لو أرسلت إلى لأتيتك فيقول ابن عباس إنى أحق أن أجىء إليك لما معك من حديث رسول الله (ﷺ)وكأنه يقول العلم يأتى إليه . وظل بن عباس يطلب العلم حتى أصبح بين العلماء عالما إن تكلم فى الحديث قلت لا يحسن غيره وإن تكلم فى التفسير قلت لايحسن غيره وكذلك فى سائر العلوم ولو تحدثت عن ابن عباس لاينتهى الحديث عنه ونقول لإخواننا الدعاة هذا نموذج تربى فى بيت النبوة وهؤلاء هم القادة والقدوة . سكن الطائف ومات به عام ٦٨ هجريا

وقفة لغوية مع الحديث

الصرورة : التبتل أو الرهبانية أو الحج ثم اتسعت الكلمة فأخذت معنى عاما هو الحبس أو المنع وأستدل على ذلك بقوله تعالى عن نبيه يحيى عليه السلام سيدا وحصورا وعليه فقد فسر بعض المفسرين حصور : الحصور الذى لايأتى النساء وهذا خطأ لأن الإمام الرازى والألوس يقرران أن امتناع سيدنا يحيى كان زهداً منه وهو خاص به مع القدرة عليه — قال الرازى فى قوله سيدا : دليل على أن تسييد النبى (ﷺ) جائز وذلك أن الدعوة إلى الله معسكرا كبيرا بدأه آدم عليه السلام ومن جاء بعده من الأنبياء وقائد ذلك المعسكر هو النبى (ﷺ) فإذا كان الجندى سيدا فكيف تنكر السيادة للقائد وقد أخطأ الذين قالوا أن النبى (ﷺ) قال " لاتسيدونى فى الصلاة"

قال صاحب تمييز الطيب من الخبيث مما أشتهر على ألسنة الناس من الحديث أن هذا الحديث باطل لا أصل له لأنه معارض لحديث جاء فى الصحيحين وهو قوله (ﷺ) أنا سيد ولد آدم ولا فخر "[١] وهذا الحديث يؤكد ضعف الحديث السابق .

المعنى العام للحديث

هذا الحديث يؤكد لنا حقيقة كبرى وهى أن الإسلام لايعرف الرهبانية وإنما هو دين يهتم بالناحية المادية والناحية الروحية معاً وهذا هو الذى يتناسب مع طبيعة الإسلام فاليهودية تركز على الماديات كل التركيز والنصرانية تؤكد على الروحانية كل التأكيد ولبى حاجات الجسد كما لبى حاجات الروح سواء بسواء ومن هنا قال (ﷺ) للذين سألوا عن عبادته ورأوا أن يأخذوا لأنفسهم منهجا فقال له فى الحديث المتفق عليه " إنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى "[٢] ، وقال (ﷺ) " هلك المتنطعون قالها ثلاثة فقالوا من المتنطعون فقال : المتشددون فى غير مواضع الشدة "[٣] وخلاصة هذه القضية فى قوله تعالى " وكذلك جعلناكم أمة وسطاً "[٤]

---

(١) أخرجه الإمام أحمد
(٢) متفق عليه أخرجه الإمامان البخارى ومسلم كما أخرجه النسائى وأبوداود وأحمد
(٣) أخرجه مسلم وأبو داود وأحمد
(٤) سورة البقرة آية (١٤٣)

مايستفاد من الحديث

١ ــ لا رهبانية فى الإسلام .
٢ ــ وجوب فريضة الحج على كل مسلم ومسلمة مع الاستطاعة
٣ ــ من ترك الحج مع الاستطاعة والقدرة عليه يموت يهوديا أو نصرانيا وأرى ما أرى أن هذا بالنسبة لمن ترك الحج منكرا لفرضيته لأنه حينئذ يكون قد أنكر أمرا معلوما من الدين بالضرورة أما من تركه كسلا أو بخلا بالمال مع اعترافه بفرضيته فهو مسلم قد دخل بابا من أبواب الكبائر .
٤ ــ حث الإسلام على أداء الواجبات والقيام بها عند الاستطاعة وعدم تأخيرها والتعاون فيها .

وفى هذا القدر الكفاية وبالله التوفيق ومنه الهداية

الحديث التاسع عشر

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما " أن رجلا من أسلم جاء إلى رسول الله (ﷺ) فاعترف بالزنا فأعرض عنه النبى (ﷺ) حتى شهد على نفسه أربع مرات قال له النبى (ﷺ) : أبك جنون ، قال لا : أحصنت ؟ قال نعم فأمر به النبى (ﷺ) فرجم فى المصلى فلما أذلقته الحجارة فر فأدرك فرجم حتى مات فقال له النبى (ﷺ) خيرا ولم يصل عليه "

(رواه الترمذى والنسائى وأبوداود وأحمد)

الكلام عن الراوى الأعلى

جابر بن عبد الله الأنصارى الخزرجى وكنيته أبو عبد الله وهوصحابى وابن صحابى ومن السابقين فى الإسلام وحضر بيعة العقبة مع أبيه وكان لايزال صغيرا ويعنى هذا أنه أسلم قبل الهجرة وفى صحيح مسلم عن جابر قال غزوت مع رسول الله (ﷺ) تسع عشرة غزوة ولم أشهد بدر ولا أحد وقد منعنى أبى : والظاهر أن سبب المنع كان لصغر سنة رضى الله عنه ومع هذا كان من المجاهدين الأبطال يضاف إلى ذلك أنه كان من علماء الصحابة المكثرين لرواية الحديث عن رسول الله (ﷺ) ويؤكد هذا (روايته) أربعين وخمسمائة وألف حديث عن رسول الله (ﷺ) توفى بالمدينة عام ٧٨ هجريا .

وقفة لغوية

١ ــ المراد بالرجل هو ماعز بن مالك من قبيلة أسلم وفى هذه القبيلة يقول النبى (ﷺ) " أسلم سالمها الله "[1] وعجيب شأن هذا الرجل يزنى ثم يأتى معترفا إلى النبى (ﷺ) ولا يفعل ذلك إلا خوفا من الله عز وجل .

٢ ــ " قال أحصنت " القائل النبى (ﷺ) وقوله أحصنت استفهام حذفت منه الأداة والتقدير ءأحصنت والإحصان هنا التزوج وهو الدخول بالزوجة دخولا حقيقيا وهو المراد هنا إن الإحصان بمعنى الحرية .

٣ ــ أذلقته الحجارة : أى أوجعته وألمته ألما شديدا .

٤- فر : أى هرب.

---

(١) متفق عليه أخرجه الإمامان البخارى ومسلم كما أخرجه الترمذى وأحمد والدرامى

شرح الحديث

إن هذا الحديث يبين أن الزنا من أكبر الكبائر ومن أعظم الجرائم التى تأباها النفوس السليمة من أجل ذلك فإن الإسلام قد وضع أسوار منيعة حول هذه الجريمة أو بلغة العصر الذى نعيشه وضع أسلاكا شائكة : قال تعالى " ولا تقربوا الزنا " [١] ولم يقل الحق تبارك وتعالى ولاتزنوا للنهى عن مجرد القرب منه ليغلق الباب تماما حول هذه الفاحشة .
وقد أخرج الإمام أبوداود فى سننه أن رسول الله (ﷺ) قال " أيما امرأة استعطرت ثم خرجت ليوجد ريحها فهى زانية وكل عين زان " (أخرجه الدرامى) والعلماء الأفاضل اختلفوا حول الصلاة على الزانى وأذكر هنا ما قاله العلماء فى هذا الموضوع فقد أخرج الإمام أبو داود فى سننه عن بريدة أن النبى (ﷺ) لم يأمر بالصلاة على ماعز ولم ينه عن الصلاة عليه وما أخرجه مسلم من حديث عمران بن حصين فى قصة الجهنية التى زنت ورجمت أن النبى (ﷺ) صلى عليها فقال له عمر أتصلى عليها وقد زنت فقال " لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم " [٢] ، قال الحافظ فى الفتح وقال بعد ذلك وقد أختلف أهل العلم فى هذه المسألة فقال مالك يأمر الإمام بالرجم ولايتولاه بنفسه ولايدفع عنه حتى يموت وأهله يغسلونه ويصلون عليه ولا يصلى عليه الإمام ردعا لأهل المعاصى إذا علموا أنه ممن لايصلى عليه ولئلا يجترىء الناس على مثل فعله وعن بعض المالكية يجوز للإمام أن يصلى عليه وبه قال جمهور العلماء والمعروف من مالك أنه يكره للإمام وأهل الفضل الصلاة على المرجوم وهو قول أحمد وعن الشافعى لايكره وهو قول الجمهور وعن الزهرى لايصلى على المرجوم ولاعلى قاتل نفسه .
وعن قتادة لايصلى على المولود من الزنا وأطلق عياض فقال لم يختلف العلماء فى الصلاة على أهل الفسق والمعاصى والمقتولين فى الحدود وإن كره بعضهم ذلك لأهل الفضل إلا ماذهب إليه أبو ضيفة فى المحاربين وما ذهب إليه الحسن فى الزنا فيصلى عليهم .

---

(١) سورة الإسراء اية (٣٢)
(٢) أخرجه مسلم والترمذى والنسائى وأبوداود وأحمد والدرامى

ما يستفاد من الحديث

١ ــ الاعتراف بالذنب لاينقص من منزلة المذنب إنما يؤكد خوفه من الله عز وجل وقوة إيمانه به عز وجل .
٢ ــ الإعراض عن مرتكب هذه الذنوب زجراً لهم حتى يعلموا أثر هذه الذنوب وخطرها فى المجتمع .
٣ ــ منع إقامة الحدود بمجرد الشبهة وإذا أخطأ الإمام فى العفو كان خيرا له من أن يخطأ فى العقوبة .
٤ ــ التوبة النصوح تكفر لكل الذنوب قال تعالى " قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم " (١)
٥ ــ وفيه أن الصلاة جائزة على من أقيم عليه الحد ويقصد بذلك صلاة الجنازة ومما يؤكد أهمية التوبة قول الشافعى :

يامن اسى فيما مضى ثم اعترف	كن محسنا فيما بقى تنل الشرف
واسمع لقول الله فى قرءانه	إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

٦ ــ هل الحدود زواجر أم جوابر ؟ والحق أنها زواجر لمن تحدثه نفسه بأن يقوم بمثلها وجوابر لأصحابها وذلك لأن الله عز وجل أكرم من أن يجمع على عبد عقوبتين فى ذنب واحد..

وفى هذا القدر الكفاية وبالله التوفيق ومنه الهداية

---
(١) سورة الزمر اية (٥٣)

الحديث العشرون

عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال " أن امرأة من جهينة أتت رسول الله (ﷺ) وهى حبلى من الزنا فقالت : يارسول الله ، أصبت حدا فأقمه على ، فدعى نبى الله (ﷺ) وليها فقال : أحسن إليها فإذا وضعت فأتنى بها ففعل فأمر بها نبى الله (ﷺ) فشدت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها قال له عمر : تصلى عليها يا نبى الله و قد زنت ؟ فقال رسول الله (ﷺ) : لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم و هل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله عز و جل

(رواه مسلم و الترمذى و النسائى و أبو داود و أحمد و الدرامى)

الراوى الأعلى للحديث

هو عمران بن حصين الصحابى الجليل رضى الله عنه و كنيته أبو نجيح بضم النون و فتح الجيم عمران بن حصين بن عبيد بن خلف بن عبد شهم بن سالم . إتفق إسلامه مع إسلام أبا هريرة فى عام واحد و هو العام السابع للهجرة ، و هذان الرجلان لهم فى ذاكرة التاريخ منزلة كبرى و مكانة مرموقة. أما بالنسبة لرواية الحديث فقد روى له ثمانون و مائة حديثا و هذا العدد إن كان قليلا فإن عمران كان فقيها من فقهاء الصحابة و للفقه فى حياة الصحابة منزلة كبرى يستفيد بها كل مسلم و يؤكد ذلك قوله (ﷺ) فى الحديث المتفق عليه " من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين "[١] و هذا هو الذى جعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه يرسله للبصرة قاضيا ليفقه أهلها و ذلك لفضله و علمه. و من فضائله رضى الله عنه إنه كان مجاب الدعوة و هذا هو الحسن البصرى يحلف بالله إنه ما قدم للبصرة راكبا خيرا من عمران بن حصين و أنا أحلف كما حلف الحسن و قد توفى فى البصرة عام أثنتين و خمسين من الهجرة.

---

(١) متفق عليه أخرجه الإمامان البخارى ومسلم كما أخرجه الترمذى وابن ماجه وأحمد ومالك والدرامى

شرح الحديث

هذا الحديث و حديث ما عز بن مالك الأسلمى كلاهما يؤكد سلامة فطرة الرعيل الأول و حرصه على تطبيق الإسلام.
يقول أستاذنا الدكتور يوسف القرضاوى فى كتابه الإيمان و الحياة و هو يعلق على هذا الحديث أن المرأة جاءت طائعة باختيارها إلى النبى (ﷺ) لم يلزمها أحد ثم إنه (ﷺ) أعطاها مهلة حتى تضع حملها و لم يبعث ورائها حراس و لا جنود و كان يمكن لها الهروب و لكن تعاقب الليل و النهار لم ينسيها انها تريد أن ترجع إلى الله سبحانه و تعالى. و الحديث بالرواية التى ذكرها سيدنا عمران بن حصين مختصرة و مجملة و تفصيل ذلك الإجمال أن المرأة لما وضعت و جاءت إلى النبى (ﷺ) فقال لوليها أذهب بها حتى ترضع ولدها إذا فطم فائتنى. و يقول الدكتور فترة الرضاعة حولين كاملين و مع هذا عادت إلى النبى (ﷺ) بعد إنتهاء الحولين فقال لها النبى (ﷺ) هل يطعم الصبى فقالت نعم يا رسول الله ثم جاءت بكسرة خبز وأعطتها للصبى فأكلها فاطمئن النبى (ﷺ) فقالت طهرنى يارسول الله . يقول الدكتور وهذا يدل على أن ضمير الإنسان محكمة داخلية لو أحسن الإنسان استغلالها لكان ذلك كفيلا بسعادته فى الدنيا والأخرة وأنا أتساءل فيما بينى وبين نفسى وأمامى إخوانى الدعاة فى هذا العصر الذى نعيشه فأقول هذه حقائق أم أنها أساطير وأجيب وأقول إنها حقائق ولكنه فرق كبير بين ماكانوا عليه وبين ماصرنا إليه . ومن الأمور الهامة التى أرى أنها جديرة بالذكر أنه فى الحديث السابق جاء اسم الرجل مصرحا به وأنه فى هذا الحديث لم يذكر اسم المرأة لامن قريب أو بعيد إنما أشار إليه بقوله الغامرية وفى ذلك ما فيه من محافظة الإسلام على العرض بالأسلوب الصحيح الذى يقوم على الستر ولكن يحاول بعض الناس أن يلتقطوا مثل هذه الأشياء وجعلوه سوقا رائجا للغيبة والنميمة دون ضمير يحكمهم أو حياء يردهم عن هذه الأمور ، ولابد لى من كلمة مختصرة عن الرجم أذكر فى ذلك أن أحد المستشرقين سأل الشيخ محمد عبده عن عقوبة الرجم لماذا كانت ولماذا هى

بالحجارة فقال الشيخ أما لماذا كانت فأنه تطهير للمجتمع من الفساد والرزيلة وأما انه بالحجارة فلأن الزانى يهدم بيت بنى من الحجارة وهو بيت الزوجية فكان الرجم بالحجارة على القاعدة المشهورة " الجزاء من جنس العمل " إضافة لهذا أقول أن كل الشرائع تحرم هذه الجريمة وإذا لم تحرمها الشرائع حرمتها العقول السليمة وكلمة أخيرة فى هذا الحديث حول التوبة التى شرعها الله وفتح لنا بابها رسول الله (ﷺ) فقال فى الحديث الذى أخرجه الإمام مسلم : " إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار و يبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها " (١) .

وقفة مع حد الزنا

ولإقامة حد الزنا شروط لابد من ذكرها ومن هذه الشروط ماهو متفق عليه وما هو مختلف فيه :

١ ــ أن يكون عاقلا ، فلا يحد المجنون بالاتفاق وإن زنا عاقل بمجنونة أو مجنون بعاقلة ، حد العاقل منهما .

٢ ــ أن يكون الزانى بالغا ، فلا يحد الصبى غير البالغ بالأتفاق .

٣ ــ أن يكون مسلما ، فى رأى المالكية ، فلا يحد الكافر إن زنا بكافرة ولكنه يؤدب إن أظهره ، وإن استكره مسلمة على الزنا قتل ، وإن زنا بها طائعة نكل به وعزر .

وقال الجمهور : يحد الكافر حد الزنا ، لكنه لا يرجم المحصن عند الحنفية وإنما يجلد ولاحد للزنا وشرب الخمر عند الشافعية والحنابلة على المستأمن لأنه حق الله تعالى ولم يلتزم بالعهد فى حقوق الله تعالى .

٤ ــ أن يكون طائعا مختارا ، وأختلف الفقهاء فى أنه هل يحد المكره على الزنا فقال الجمهور : لايحد ، وقال الحنابلة يحد ولاتحد المرأة إذا استكرهت على الزنا أواغتصبت .

٥ ــ أن يزنى بآدمية فإن أتى بهيمة فلا حد عليه باتفاق المذاهب الأربعة فى الأصح عند الشافعية ، ولكنه يعزر ولا تقتل البهيمة ولابأس بأكلها عند الجمهور .

---

(١) أخرجه مسلم وأحمد

٦ ـــ أن تكون المزنى بها ممن يوطأ مثلها فإن كانت صغيرة لا يوطأ مثلها فلا حد عليه ولاعليها ولاتحد المرأة إذا كان الواطىء غير بالغ .
٧ ـــ ألا يفعل ذلك بشبهة فإن كان الوطء بشبهة سقط الحد ، مثل أن يظن بامرأة أنها زوجته أو مملوكته ، فلا حد عند الجمهور ويجب الحد عند أبى حنيفة وأبى يوسف ، وهذه هي شبهة الفاعل .
وكذلك لا يحد بالاتفاق من وطىء بوجود نكاح فاسد مختلف فيه كالزواج دون ولى أمر يفيد شهود إذا استفاض واستشهر عند المالكية ، وذلك بسبب شبهة العقد ، فإن كان الزواج فاسدا بالأتفاق كالجمع بين الأختين ، ونكاح خامسة ، ونكاح ذوات المحارم من النسب أو الرضاع أو تزوج فى العدة ، أو ارتجاع من طلاق ثلاث دون أن تتزوج غيره ، أوشبهة ذلك فيحد فيما ذكر كله إلا أن يدعى الجهل بتحريم المذكور كله ففيه قولان عند المالكية .
٨ ـــ أن يكون عالما بتحريم الزنا ، فإن ادعى الجهل به وهو ممن يظن به الجهل ففيه قولان عند المالكية لابن القاسم وأصمغ .
٩ ـــ أن تكون المرأة غير حربية فإن كانت حربية حد بن القاسم المالكى خلافا لابن الماجشون وكذلك إن كانت من المغنم ، حد عند ابن القاسم خلافا لأشهب وقد وافق فقهاء المذاهب الآخرون على رأى أشهب للشبهة .
١٠ ـــ أن تكون المرأة حية فلا يحد عند الجمهور واطىء الميتة ويحد فى المشهور عند المالكية .
أما الوطء فى الدبر أو اللواط فلا يوجب الحد وإنما يوجب التعزير عند أبى ضيفة ، ويجب الحد عند سائر المذاهب ومنهم الصاحبان وأما من وطىء أجنبية غير محرم فيما دون الفرج ، كتفخيد وتبطين فيعزر اتفاقا لأنه فعل منكر ليس فى شىء مقدرا شرعا .
ويشترط كذلك أن يكون الوطء فى دار السلام فلا حد على من وطىء دار الحرب .

ما يستفاد من الحديث

١ ـــ الاعتراف بالذنب دليل قوى للايمان .
٢ ـــ الحدود جوابر .
٣ ـــ رعاية الإسلام لولد الزنا حتى لايؤخذ الجار بظلم الجار مع التأكيد على حرمة التبنى حراما حراما .
٤ ـــ التوبة النصوح الخالصة تمحوا الذنوب مهما عظمت لكبرها أو صغرها .
٥ ـــ يقظة الضمير من سمات المؤمنين

وفى هذا القدر الكفاية وبالله التوفيق ومنه الهداية

الحديث الواحد والعشرون

عن أنس بن مالك رضى الله عنه " أن النبى (ﷺ) ضرب فى الخمر بالجريد والنعال وجلد ابوبكر أربعين وفى رواية أن النبى (ﷺ) أتى برجل قد شرب الخمر فجلده بجريدة نحو أربعين قال: وفعله أبوبكر فلما كان عمر أستشار الناس فقال عبد الرحمن : أخف الحدود ثمانين فأمر به عمر " (متفق عليه ــ رواه البخارى ومسلم ، كما رواه أبوداود وأحمد)

لغويات الحديث

" شرب " أى ضرب رسول الله (ﷺ) فى الخمر = أى أمر بالضرب وفيه مجاز بالحذف كقوله تعالى " وسئل القرية " [1] = أى اسأل أهل القرية .
" الخمر " فى اللغة كل ما خامر العقل أى غطاه عند الفقهاء كل مايغيب العقل وهناك أرتباطا وثيقا بين المعنى اللغوى والشرعى .
" الجريد " هو جمع جريدة وسميت بذلك لتجردها من الخوص .
" النعال " جمع نعل وهو مايلبس فى القدم .

المعنى العام

اتفقت جميع الشرائع على تحريم الخمر وذلك احتراما لأكبر نعمة أنعم بها علينا الله تعالى وميزنا بها عن سائر الحيوانات وهى نعمة العقل .

(١) سورة يوسف اية (٨٢)

وقال تعالى " ولقد كرمنا بنى أدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا " (١).

وهذا التكريم وذلك التفضيل لايكونان إلا بنعمة العقل ومن هنا فقد أتفق الفقهاء على أن العقل إذا ذهب سقط التكليف بذلك عن صاحبه فلا يكلف بشيء وجعلوا لذلك قاعدة (إذا أخذ الإله ما وهب أسقط ماوجب)

فكيف إذا ما أتلف الإنسان بيده هذه النعم وهناك أمور لابد من بيانها فى هذه القضية من أهمها تحريم الخمر وهى كل ماخامر العقل كما أشرت إلى ذلك ، قال (ﷺ) فى تحريمها (أجتنبوا الخمر فأنها أم الخبائث) (٢) ، و(شارب الخمر كعابد الوثن) وقد ورد فى الجامع الكبير للسيوطى حديث يؤكد خطورة الخمر وأثارها وكيف أنها تدمر المجتمع ويقول النبى (ﷺ) " أن امرأة فيمن كان قبلكم دعت رجلا إلى نفسها وكان معها غلام وإناء من الخمر فقالت للرجل أفعل واحدة من ثلاث ففر المسكين وقال أخف الثلاثة أن أتناول الخمر فلما تناول الخمر سكر فقتل الغلام وزنا بالمرأة "

ومن هنا يظهر لنا خطورة الخمر وأثارها فى تدمير الأفراد والجماعات وأضيف إلى الخمر ما يؤخذ حكمها أويقرب منها كالمخدرات وأنواع المشمومات والحبوب وما إلى ذلك وكذلك التدخين الذى أرى أنه حرام واستدل على ذلك من القرآن الكريم فى قوله جل شأنه " ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث " (٣) وإنما أسأل هل التدخين من الطيبات أم من الخبائث والقدوة فى ذلك لها أثر كبير وقد يذهب أحد المرضى إلى طبيب فيكتب له تذكرة دواء يكتب عليها " اياك والتدخين " بينما نرى هذا الطبيب يدخن بشراهة وهذا يذكرنى بقوله تعالى " أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم " (٤)

---

(١) سورة الإسراء آية (٨٢)
(٢) أخرجه النسائى
(٣) سورة الأعراف ءية (١٥٧)
(٤) سورة البقرة آية (٤٤)

ويقول القائل :

وغير تقى يأمر الناس بالتقى　　　طبيب يداوى والطبيب مريض

أما عند الخمر وذكرها فى القرآن الكريم فانها مرت بها أربع مراحل :

المرحلة الأولى : مرحلة التنبيه وهى الواردة فى قوله تعالى " ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا " (١)

المرحلة الثانية : الموازنة : فى قوله جل شأنه " يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وأثمهما أكبر من نفعهما " (٢)

المرحلة الثالثة : مرحلة التحريم المقيد : وذلك فى قول الحق تعالى " يا أيها الذين ءامنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون " (٣)

وعندئذ قال عمربن الخطاب اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا ولك أن تتأمل معى كيف وصلت شفافية نفسه إلى هذه المرحلة ولاغرابة فى ذلك فإنه عمر الذى وافق ربه فى كثير من أى القرءان .

المرحلة الرابعة : مرحلة التحريم المطلق : وذلك فى قول الله عز وجل وهى آخر آية نزلت فى الخمر " ياأيها الذين ءامنوا إنما الخمرو الميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون " (٤)

---

(١)سورة النحل اية (٦٧)
(٢)سورة البقرة اية (٢١٩)
(٣)سورة النساء اية (٤٣)
(٤)سورة المائدة (٩٠ ، ٩١)

احكام تتعلق بالخمر

١ ـ من استحلها فقد كفر لأن إباحة أمرا جرمته جميع الأديان وقد أخطأ النصارى كل الخطأ حين قالوا قليلا من الخمر يصلح من المعدة وزعموا أن ذلك نص من نصوص الإنجيل ولكنا نقول لهم كما قال الله " فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله " [١]

٢ ـ يحرم شرب الخمر قليلها وكثيرها لأنها محرمة العين قال تعالى " إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان " [٢] فوصفها الحق بكونها رجس فيدل على أنها محرمة هى بنفسها ، قال عليه الصلاة والسلام " حرمت الخمر بعينها قليلها وكثيرها والسكر من كل شراب " [٣] إلا أنه رخص فى شربها عند ضرورة العطش الذى يؤدى إلى الموت أو الإكراه بقدر ماتندفع به الضرورة ولايجوز الانتفاع بها للتداوى وغيره لأن الله تعالى لم يجعل شفاء هذه الأمة فيما حرم عليها قال (ﷺ) " إن الله تعالى لم يجعل شفاءكم فيم حرم عليكم " [٤] فإنه دل على تحريم التداوى بما حرم الله تعالى وأنه لم يجعل الشفاء فيه ولما كانت الخمر محرمة دل على تحريم التداوى بها .

وقال (ﷺ) " لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها "[٥]

٣ ـ يحرم بيع الخمر والانتفاع بها بأى شىء من أنواع الانتفاع لقوله (ﷺ) " إن الذى حرم شربها حرم بيعها " [٦]

٤ـ أنها نجسة نجاسة مغلظة حتى إذا أصاب الثوب فى رأى الحنفية أكثر من قدر لدرهم يمنع جواز الصلاة فيه ولأن الله تعالى سماها رجسا فقال سبحانه " رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه " والظاهر أن المراد من كلمة رجس هو النجاسة المعنوية الشرعية إلا أن الأمر بالاجتناب يقتضى الابتعاد عن الخمر ابتعادا شديدا.

---

(١) سورة البقرة آية (٧٩)
(٢) سورة المائدة آية (٩٠)
(٣)أخرجه النسائى
(٤) أخرجه البخارى
(٥) أخرجه أبوداود وأحمد
(٦) أخرجه مسلم والنسائى وأحمد ومالك والدرام

٥ ـ يحد شاربها قليلا وكثيرا لقوله عليه الصلاة والسلام-" ما أسكر كثيره فقليله حرام" [١]
و لإجماع الصحابة رضى الله عنهم على ذلك.
٦ ـ إن حد شرب الخمر و حد السكر مقدر بثمانين جلدة فى الأحرار لفعل الصحابة رضى الله عنهم و هذا الرأى الراجح و ما قاله الشافعية ايضا حد الخمر أو السكر على الأحرار أربعون جلدة ، لإن عثمان رضى الله عنه جلد الوليد بن عقبة أربعين، و قال على : جلد رسول الله (ﷺ) فى الخمر أربعين، و أبو بكر أربعين و عمر ثمانين.

ما يستفاد من الحديث من الأحكام

١ ـ درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.
٢ ـ الضرورات تبيح المحظورات و لكنها تقدر بقدرها كما قال العلماء الحكم يدور مع علته وجوداً و عدماً.
٣ ـ المحافظة على نعمة العقل و هى من أكبر النعم و قد حافظت عليها كل الشرائع.
٤ ـ كل مسكر و مفتر خمر و ما أسكر كثيره فقليله حرام.
٥ ـ قليل الخمر و كثيره فى الحكم سواء و ما أسكر كثيرا فملىء الكف منه حرام.
٦ ـ نجاسة الخمر والإناء على الراجح إلا لضرورة العطش الذى يخاف منه الموت .
٧ ـ الخمر أم الخبائث فذكر النبى (ﷺ) ذلك .
٨ ـ تجنب العداوة والبغضاء بين الناس وذلك بالبعد عن المسكرات .
٩ ـ تمسك صحابة رسول الله (ﷺ) بأقامة الحدود وتنفيذها وياليت المسلمين فى هذا العصر يرجعون إلى أقامة الحدود و تنفيذها و إذاً لحُلت مشاكلنا ولإرتاح العالم الإسلامى كله وصدق رسول الله (ﷺ) إذ يقول " حد يعمل به فى الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا أربعين صباحا " [٢] وعليه فإذا كان نزول المطر سبب فى الخصب والنماء فإقامة الحدود سبب فى الأمن والأمان فى كل زمان ومكان .

وفى هذا القدر الكفاية وبالله التوفيق ومنه الهداية

---

(١) أخرجه الترمذى و النسائى و أبوداود و أبن ماجة و أحمد
(٢) أخرجه أبن ماجه و أحمد

الحديث الثانى والعشرين

عن النعمان بن بشير رضى الله عنه أن النبى (ﷺ) قال " مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لوأنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ؟ فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا " (رواه البخارى والترمذى وأحمد)

الراوى الأعلى للحديث

النعمان بن بشير بن سعد هو صحابى ابن صحابى ، وهوأول مولود للأنصار بعد مقدم النبى (ﷺ) إلى المدينة وحنكه النبى بتمر وضع التمر فى فمه الشريف فبله من ريقه ووضع إصبعه فى فم الطفل فكان ريق النبى (ﷺ) أول شىء يدخل فى جوف الطفل وفى هذا من البركة ما فيه ، كما أن عبد الله بن الزبير المولود معه فى عامه أول مولد للمهاجرين بعد الهجرة .

والنعمان ولد على رأس أربعة أشهر من الهجرة وروى له عن رسول الله (ﷺ) مائة وأربعة عشر حديثا . قتل النعمان بالشام بقرية من قرى حمص فى ذى الحجة سنةخمس وستين ، وقال بن أبى خيثمة سنة ستين والنعمان له مرويات فى الصحيحين من أهمهما حديثى " الحلال بين والحرام بين " والحديث المشهور " اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم " ومن المعلوم أن أصحاب النبى (ﷺ) هم أفضل الناس بعد الأنبياء وذلك مؤكدا لقوله (ﷺ) " خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم " (١)

(١) متفق عليه أخرجه الإمامان البخارى ومسلم كما أخرجه الترمذى وأبن ماجة والنسائى وأحمد

تأملات فى معنى الحديث

أنواع الحدود فى الإسلام تتلخص فيما يأتى :
١ ـ حد الزنا : قد تقدم الكلام عليه
٢ ـ حد السرقة : وقد ورد فى قوله تعالى " والسارق والسارقة فأقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا " (١)
٣ ـ حد القذف : هو ثمانون جلدة بنص القرآن قال تعالى " فاجلدوهم ثمانين جلدة " (٢)
٤ ـ حد شارب الخمر وقد تقدم الكلام عنه .
٥ ـ حد المرتد: هو القتل لقوله (ﷺ) " من بدل دينه فاقتلوه " (٣)

٦ ـ حد الحرابة : الحرابة هى قطع الطريق وقد ورد فى قوله تعالى " إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أويصلبوا أوتقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أوينفوا من الأرض " (٤)
٧ ـ حد البغى : ورد فى قوله جل شأنه " وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله " (٥)
٨ ـ حد القصاص : وقد ورد فى قوله تعالى " يا أيها الذين أمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى " (٦) ثم قال بعد ذلك " ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون " (٧) وهذه الحدود قدرها الله تعالى وليس لأحد من البشر أن يزيد فيها أو ينقص منها وكذلك الكفارات التى بينها الله سبحانه وتعالى وشرحها لنا (ﷺ) لاينبغى الزيادة أو النقص منها كفارة اليمين والظهار والقتل الخطأ وغير ذلك .

---

(١) سورة المائدة اية (٣٨)
(٢) سورة النور اية (٤)
(٣) أخرجه البخارى والترمذى وأبن ماجه وأبوداود والنسائى وأحمد
(٤) سورة المائدة اية (٣٣)
(٥) سورة الحجرات اية (٩)
(٦) سورة البقرة اية (١٧٨)
(٧) سورة البقرة اية (١٧٩)

الحديث الذى معنا يشبه السفينة بالمجتمع كله ومن هنا فانه يعد قاعدة عظيمة فى مسألة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهى قاعدة لها خطرها فى الإسلام وقد أساء بعض الناس عنهم هذه القاعدة وخرجوا بها من المَعنى الصحيح لها والنبى (ﷺ) يوضح هذه القضية فى الحديث الذى أخرجه الإمام مسلم فيقول " من رأى منكم منكرا فليغيره بيديه فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان " .

قال الإمام النووى " تغيير المنكر باليد مهمة الحكام وتغييره باللسان مهمة العلماء وتغييره بالقلب مهمة العامة .

ونضيف إلى ماقاله الإمام النووى أن تغيير المنكر يختلف باختلاف الأشخاص والقدرات والمكان والزمان فما يستطيعه فلان قد لايستطيعه غيره والله مدح هذه الأمة فقال عز وجل "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكروتؤمنون بالله" (١)

ونلاحظ هنا أن الآية قدمت الجانب العملى على الجانب النظرى فقدمتا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على الإيمان بالله هذا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يحتاج إلى القدوة الصالحة فلابد أن يتصف من يفعل ذلك بما يأمر الناس به وينهاهم عنه حتى لايدخل تحت قوله عز وجل " أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم " (٢) .

ومن الجدير بالذكر هنا ماقاله إمام الدعاة فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى رحمة الله عليه :

أن تغيير المنكر بالقلب ليس معناه أن ينكر الإنسان بقلبه دون أن يتكلم وإنما لابد له أن يعتزل من يفعل المنكر اعتزالا يتفق مع الظروف التى تحيط به تماما للفائدة فى هذا المقام أذكر ما قاله المفكر الإسلامى الكبير فضيلة الشيخ محمد الغزالى رحمة الله عليه حيث قال : لابد لحملة الدعوة من اختيار الأسلوب المناسب والوقت المناسب ولابد أن يعلموا أن الزمن جزءا من العلاج وألا ييأسوا أبدا مهما كثرت الفتن والضغوط والعوامل وتعددت المذاهب

---

(١) سورة آل عمران آية (١١٠)
(٢) سورة البقرة آية (٤٤)

فالحق باق ببقاء أهله إلى يوم القيامة مع الوضع فى الإعتبار لكل داعية قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون " [١] كما يؤكد القرآن على المؤمن ألاييأس في الدعوة إلى الله وفى ذلك يقول الحق عز وجل " وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها " [٢] فلم يقل واصبر لأن الصبر يكون مرة أو مرتين فأما الإصطبار فهو دوام الدعوة مع عدم اليأس ونبى الله يعقوب عليه السلام لم ييأس رغم فراقه ليوسف فقال لأبناءه " يابنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولاتيئسوا من روح الله إنه لا ييئس من روح الله إلا القوم الكافرون " [٣]

مايستفاد من الحديث

١ ــ جواز ضرب الأمثال قال تعالى " وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون " [٤] بالمثال يتضح المقال كما هو معروف .
٢ ــ جواز القرعة للوصول للحق .
٣ ــ إقامة الحدود وفيها تطهير للمجتمع وأمان له بالنسبة لجميع أفراده قال تعالى " ألا يعلم من خلق وهواللطيف الخبير " [٥]
٤ ــ وجوب الصبر على جار السوء ومن المعلوم أن مخالطة الناس والصبر على أذاهم خيرا من اعتزالهم كما قرر ذلك النبى (ﷺ) وعن الصبر فى هذا المجال حدث ولاحرج ومن هنا كان النبى (ﷺ) يستعيذ بالله من جار السوء فى دار المقام قال (ﷺ) " تعوذوا بالله من جار السوء فى دار المقام فإن جار البادية يتحول عنك " [٦]

(١) سورة الصف اية (٢)
(٢) سورة طه اية (١٣٢)
(٣) سورة يوسف أية (٨٧)
(٤) سورة الحشر اية (٢١)
(٥)سورة الملك اية (١٤)
(٦)أخرجه النسائى

٥ ــ لاحرية للفرد والجماعة إلا فى إطار الشرع الحكيم الذى بينه الله لعباده واحترام قوانينه .
٦ ــ هلاك العاصى إذا سكت عن تغيير المنكر .
٧ ــ ضياع الأمة والقضاء عليها فى عدم استجابتها لدعوة الحق والانقياد إليها .
٨ ــ استحقاق العقوبة بترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مع القدرة .
٩ ــ إقامة الحدود تحصل بها النجاة لمن أقامها ولمن أقيمت عليه .
١٠ ــ صلاح الدنيا والدين لايكون إلا ببذل الجهود المتواصلة من أجل إعلاء كلمة الله .
١١ ــ الدعاة إلى الله هم ورثة الأنبياء وهو أغلى ميراث يورث فى الدنيا والآخرة لو أحترمه أهله وواظبوا عليه وعلموا منزلتهم بين الناس وعند رب الناس وإن لم يفقه ذلك بعض الناس ، ولاسيما فى هذا العصر الذى احتلت المادية فيه جزءا كبيرا من الوقت فأصبحنا وأمسينا مسرعين قلقين ولاخروج لنا من هذا إلا فى اتباع الشرع الحنيف عقيدة وسلوكا .

وفى هذا القدر الكفاية وبالله التوفيق ومنه الهداية

الحديث الثالث والعشرون

عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال (ﷺ) : ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن كان له مخرج فخلوا سبيله فإن الإمام لأن يخطيء فى العفو خير من أن يخطيء فى العقوبة " (رواه الترمذى والحاكم)

الراوى الأعلى للحديث

أما مروياتها فقد بلغت عشرة ومائتين والفين حديثا أخرج لها منها فى الصحيحين مائتان وسبع وتسعون حديثا والمتفق عليه مائة وأربع وسبعون حديثا انفرد البخارى بأربعة وخمسين حديثا ومسلم بتسعة وستين حديثا فتعد أم المؤمنين من المكثرين من رواية الحديث بعد الصحابى الجليل أبى هريرة رضى الله عنه . وتوفيت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فى ليلة الثلاثاء عام سبعة وخمسون من الهجرة فصلى عليها أباهريرة ودفنت مع أزواج النبى (ﷺ) وصدق القائل فيها وفى مثيلاتها من أصحاب المنازل العالية

فلو أن النساء كمثل هذه   لفضلت النساء على الرجال
فما التأنيث لاسم الشمس عيبا   وما التذكير فخر للهلال

لغويات الحديث

ادرءوا : بكسر الهمزة والسكون المهملة وفتح الراء أى ادفعوا .
الحدود : جمع حد وحقيقة الحاجز بين شيئين متقابلين .

شرح الحديث

القاعدة العامة فى الإسلام أننا نأخذ الناس باليقين ولا نأخذهم بالشك وهناك أمور يتوقف الإنسان فيها مرة وألف مرة حتى يتخذ فيها القرار الحاسم الصحيح وقد تكون سهلة وقليلة الحجم لايترتب عليها كبير أثر .
أما الحدود فهى أكبر من ذلك وأشد وعلينا أن نلتمس للمسلم مخرجا إذا وجدنا له مخرج وها هو إمام الأئمة وأستاذ الأساتذة (ﷺ) يقول : لماعز لعلك قبلت أولعلك لمست ثم يقول له أحصنت ويؤكد ذلك بقول أخر غاية فى الغرابة أبك جنون ولو أن ماعز قال له نعم لما أقام عليه الحد ولكن هذه الأسئلة وغيرها من أمثلتها تؤكد لنا حرص الإسلام على إقامة قاعدة أصيلة عرفها الناس فى العصر الحديث وأخذ بها فقالوا " المتهم برىء حتى تثبت إدانتة " فإذا أثبت الإتهام ثبوت صحيح فإن إقامة الحد حين إذ يكون واجبا وذلك لقوله (ﷺ) والذى نفس محمدا بيده لو أن فاطمة بنت محمدا سرقت لقطع محمدا يدها " [1]

وفى دنيا الناس أمور غاية فى العجب منها أن الوساطة والعصبية أخذتا مكانا كبيرا فى كل مجالات الحياة وصاحب الخلق العظيم (ﷺ) يقول " إنما أهلك الذين كانوا من قبلكم إذا سرق منهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد " [2] ولعل من المناسب هنا أن أنبه على هذه الطائفة الذين لا هم لهم إلا البحث عن عيوب الناس وتتبع عوراتهم والنبى (ﷺ) قال " لاتتبعوا عورات المسلمين فمن تتبع عورة أخيه تتبع الله عوراته ومن تتبع الله عورته فضحه الله ولو فى جوف رحلة " [3] وهكذا يتضح لنا أنه إذا كان هناك مخرج للمسلم كان الأخذ به أولى والخطأ فى العفو خير من الخطأ فى العقوبة كما قال النبى (ﷺ) والمخاطب بقوله " ادرءوا " هم الحكام المسلمين الذين يجب عليهم أن يقيموا حدود الله كما أمرهم الله .

---

(١) متفق عليه
(٢) متفق عليه
(٣) أخرجه الترمذى وأبوداود وأحمد

ما يستفاد من الحديث

١ ــ على الراعى أن يتعامل مع رعيته بالرحمة والرأفة كما فى بعض أحاديث رسول الله (ﷺ) " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته " [١] ولا يقف هذا عند الإنسان فقط ولكن يتعداها لغيره ويرحم الله عمر الذى يقول لو عثرت بغلة فى العراق لخشيت أن يسألنى الله عليها يوم القيامة لما لم تصلح الطريق يا عمر .
٢ ـ إقامة الحد على الفاجر المتفاخر بمعصيته وإعلان ذلك بين الناس وذلك لأنه خالف قوله (ﷺ) " كل أمتى معافاة إلا المجاهرين وإن من الإجهار أن يعمل العبد بالليل عملا ثم يصبح قد ستره ربه فيقول يافلان قد عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه فيبيت يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه " [٢] أرأيت ياأخى الداعية رحمة تقارب هذه الرحمة أو تدنو منها ؟ كلا ! كلاّ إنها رحمة رسول الله (ﷺ) .
٣ ــ من الأمور المهمة التى سبق الإشارة إليها أن الخطأ فى العفو خيرا من الخطأ فى العقوبة .
٤ ــ القدوة الحسنة والأخلاق الفاضلة والحياء الكريم إنما تكون فى رحاب رسول الله (ﷺ) الذى قال عنه عز وجل " لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة " [٣]

وفى هذا القدر الكفاية وبالله التوفيق ومنه الهداية

---

(١) متفق عليه
(٢) متفق عليه
(٣) سورة الأحزاب اية (٢١)

الحديث الرابع والعشرون

عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله (ﷺ) " رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ وعن المبتلى حتى يبرأ ، وعن الصبى حتى يكبر "

الراوى الأعلى للحديث

سبق ترجمته

لغويات الحديث

رفع القلم : رفع فعل ماضى مبنى للمجهول والقلم نائب فاعل ومعناه المؤاخذة .
المبتلى : هو الذى أصيب ببلاء وأنواع البلاء متعددة حتى أنها اتسعت من حيث اللغة اتساعا كثيرا يشمل الخير والشر قال تعالى فى كتابه الكريم " ونبلوكم بالشر والخير فتنة " (١)

الصبى : الذى لم يبلغ الحلم وبلوغ الحلم هو سن التكليف فى منطق الشرع الحنيف

شرح الحديث

قال السيوطى نقلا عن السبكى وقوله رفع القلم هل هو حقيقة أو مجاز ؟ فيه احتمالان الأول وهو المنقول المشهود أنه مجاز لم يرد فيه حقيقة القلم ولا الرفع وإنما هو كناية عن عدم التكليف فيه، ووجه الكناية فيه أن التكليف يلزم منه الكتابة لقوله " كتب عليكم الصيام " (٢)
وغير ذلك ويلزم من الكتابة القلم لأنه آلة الكتابة .
فالقلم لازم للتكليف ، وانتفاء (٣) اللازم يدل على انتفاء لزومه

(١) سورة الأنبياء اية (٣٥)
(٢) سورة البقرة آية (١٨٣)
(٣) انتفاء : معناها الترك

فلذلك نفى القلم عن نفى الكتابة وهى من أحسن الكنايات وأتى بلفظ رفع إشعارا بان التكليف لازم لبنى آدم إلا هؤلاء وإن صفة الرفع ثابت للقلم لاينفك غير الثلاثة موضوعا عليه .

الاحتمال الثانى : أن يراد حقيقة القلم ورد فيه الحديث " أول ماخلق الله القلم فقال له اكتب فجرى بما هو كائن إلى الأبد " (١) فأفعال العباد كلها حسنها وسيئها يجرى به ذلك القلم ويكتبه وثواب الطاعات وعقاب السيئات يكتبه حقيقة ، وقد خلق الله ذلك وأمر بكتبه وصار موضوعا على اللوح المحفوظ ليكتب ذلك فيه جاريا إلى يوم القيامة . وقد كتب ذلك وفرغ منه وحفظ .

وفعل الصبى والمجنون والنائم لاإثم فيه فلا يكتب القلم إثمه ولا التكليف به ، فحكم الله بأن القلم لايكتب ذلك من بين سائر الأشياء .

رفع ــ للقلم الموضوع للكتابه والرفع فعل الله تعالى ، فالرفع نفسه حقيقة والمجاز فى شيء واحد وهو أن القلم لم يكن موضوعا على هؤلاء الثلاثة إلا بالقوة والنهى لأنه يكتب ما صدر منهم فسمى منعه من ذلك رفعا فمن هذا الوجه يشارك هذا الاحتمال الأول وفيما قبله يفارقة .

قوله (ﷺ) رفع القلم عن ثلاثة " كناية عن عدم التكليف إذا إن يلزم منه الكتابة ، فعبر بالكتابة ، عنه وعبر بلفظ الرافع إشعارا بأن التكليف لازم لبنى آدم إلا لثلاثة وإن صفة الرفع لاتنفك عن غيرهم .

و (عن الصبى) قال السبكى : الصبى الغلام وقال غيره الولد فى بطن أمه يسمى جنين فإن ولد فصبى فإذا فطم فغلام إلى سبع ثم يصير يافعا إلى عشرة والذى يقطع به أنه يسمى صبيا فى هذه الأحوال كلها .

مايؤخذ من الحديث

١ ــ سماحة الإسلام ويسر تكاليفه " يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر " (٢)

٢ ــ سعة فضل الله ورحمته في الإثابة عن الحسنات والعفو عن السيئات قال تعالى " من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها " (٣) ومعلوم إن الله يضاعف لمن يشاء

وفى هذا القدر الكفاية وبالله التوفيق ومنه الهداي

---

(١) أخرجه الترمذى وأبوداود

(٢) سورة البقرة اية (١٨٥)

(٣) سورة الأنعام اية (١٦٠)

الحديث الخامس والعشرون

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ) " استحيوا من الله حق الحياء قلنا إنا لنستحى من الله يارسول الله والحمد لله قال : ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن يحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وليذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا وآثر الآخرة على الأولى فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء" (أخرجه الترمذى وأحمد)

الراوى الأعلى للحديث

أبو عبد الرحمن ، عبد الله بن مسعود الهذلى المدنى وهو من السابقين إلى الإسلام قال النبى (ﷺ) إن ساق عبد الله بن مسعود أثقل فى الميزان من جبل أحد " وهو واحد من عظماء قراء الصحابه قال عنه النبى (ﷺ) " من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد " (١) . وعبد الله بن مسعود أول من جهر بالقرآن أمام مكة وقريش توفى بالمدينة فى خلافة عثمان بن عفان فى العام الثانى والثلاثين من هجرة النبى (ﷺ) وقد تولى قضاء الكوفة وبيت مالها فى خلافة عمر بن الخطاب وأول خلافة عثمان رضى الله عنه وهو الأستاذ الأول لهذه المدرسة الذى تخرج منها كثيرين من العلماء .

لغويات الحديث

١ ــ الحياء : في اللغة والاستحياء بمعنى واحد وهو انكسار يعترى النفس لتترك فعل ماندم غليه وهو يختلف عن الخوف وآثارها هو الكف والانزجار .
٢ ــ قوله الرأس وما وعى : تشمل حفظ البصر والسمع واللسان فلا يسمع إلى محرم ولا ينظر إلى محرم ولايتكلم كلاما يغضب الله قال (ﷺ) " رحم الله رجلا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم "

(١) أخرجه ابن ماجة وأحمد

وقال (ﷺ) من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت " [1].

٣ ــ البطن وما حوى : كناية عن الطعام والشراب ومعناها تحلى الحلال فى المطعم والمشرب .

٤ ــ وأن يذكر الموت والبلى : يعن أن يكون على ذكر دائما للموت والأخرة والبلى والبلى : هو نهاية الإنسان وانتقاله للدار الآخرة .

٥ ــ ذلك : اسم إشارة ترجع إلى الأمور المذكورة فى الحديث .

٦ ــ قد : حرف تحقيق إذا دخلت على الفعل الماضى كما هنا .

المعنى العام للحديث

الحياء انفعال يعترى الإنسان ويجعله يترك كل قبيح وبفعل كل مليح ، والنبى (ﷺ) كما قال أنس بن مالك " كان أشد حياء من العذراء فى خضرها " فمن حرم الحياء فقد حرم خاصة من الخصائص الإنسانية والحيوان يخاف ولا يستحى وإنما يستحى الإنسان لما وهبه الله من لطف الحس وقوة الشعور بمواقع العيب والذم فلم يمنع الحياء أم سليم الأنصارية أن تقول يارسول الله : إن الله لايستحى من الحق وهل على المرأة من غسل إذا هى احتلمت فيقول لها الرسول (ﷺ) ولم يمنعه الحياء " نعم إذا رأت الماء " [2]

فالمسلم مطالب بأن :

١ ــ يحفظ الرأس وما وعى : فهو بذلك يحفظ لسانه وعينيه وأذنيه عن كل ما حرم الله

٢ ــ وقوله (البطن وما حوى) : يشير إلى كل الحلال والبعد عن الحرام وقد قال(ﷺ) :

فيما أخرجه الطبرانى " يأتى زمان على أمتى تكون أعز الأشياء فيها ثلاثة درهم حلال ، وأخ يستأنس به ، وسنة يعمل بها " ويقول داود لابنه سليمان " يابنى لايدخل فمك إلاطيبا " فأنت بذلك تأكل حلال " ولا يخرج منه إلا طيبا " وأنت بهذا تتكلم بخير .

---

(١) متفق عليه

(٢) متفق عليه

وهذا المعنى وصفه النبى (ﷺ) فى قوله " رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أوسكت فسلم "
ويقول أمرؤ القيس وهوشاعر جاهلى

إذا المرء لن يخزن عليه لسانه   فليس على سواه بخازان

وهذه الخصال التى اشتمل عليها الحديث مبعث خيرى الدنيا والآخرة فجوارح اللسان أمانة.

٣ ـ قال (ﷺ) تذكر الموت والبلى : وإن ذكر الموت صفة من صفات المؤمنين المتقين فها هو الإمام الشافعى يقول " والله ما تمت ليلة إلا وأتمثل النعش الذى أحمل فيه وما استيقظت قط إلا وأنا أذكر البعث ولا لبثت ثوبا إلا وسألت نفسى هل تخلعه أنت أوتموت فيخلعه عنك غيرك " . والنبى (ﷺ) يقول فى حديث الطبرانى " أكثروا من ذكر الموت واستعدوا له بالتوبة والعمل الصالح ولاتسوفوا فإن الموت يأتى بغتة " .

٤ ـ وقوله (ومن أراد الآخرة) : ترك زينة الحياة الدنيا فيه توجيه للمؤمن فى كل زمان ومكان أن يركز اهتمامه بالآخرة أولا ثم تأتى الدنيا بعد ذلك وقد سبق أن ذكرنا قول النبى (ﷺ) فيما أخرجه الإمام مسلم " إن الله فرغ من آجال العباد وأرزاقهم قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة " (سبق تخريجه) . هذه الأحاديث وغيرها تجعل المؤمن فى طمأنينة كاملة وهو يتمثل فى قول النبى (ﷺ) لعبد الله بن عمر " كن واثقا بما عند الله أكثر من ثقتك بما فى يديك " .

وقال عمر بن الخطاب لأبى بكر " والله إنى إذا أصبحت يوما فلا انتظر المساء وإذا أمسيت فلا انتظر الصباح " فقال له أبو بكر عجبا لك والله إنك لطويل الأمل أما أنا فوالله ما تنفست نفسا وظننت انى سأسترده مرة أخرى .

وكان يقول أبو بكر رضى الله عنه.

كل امرىء مصبح فى أهله   والموت أدنى من شراك نعله

مايؤخذ من الحديث

١ ــ منزلة الحياء وأهميته فى الإسلام وفى هذا المعنى يقول النبى (ﷺ) " الإيمان والحياء قرناء فإذا رفعا رفعا جميعا " ويقول " لوكان الحياء رجلا لكان رجلا صالحا ولو كان البذاء رجلا لكان رجل سوء " وقال " الحياء من الإيمان والإيمان فى الجنة والبذاء [١] من الجفاء والجفاء فى النار " [٢]

إن الحياء شعبة من شعب الإيمان ولا يأتى إلا بالخير والحياء يحثنا على ترك القبائح وفعل الخيرات كما أنه مدخل للتقوى ولايتم إلابحفظ جميع الجوارح . والحياء الحقيقى صيانة للنفس مما تعاب عليه وهو يتكون من عدة مراتب أعلاها مراقبة الله تعالى وذكر الموت والإستعداد للقاء الله وذروة الحياء فى قول المؤمن بالحق ولو على نفسه .

٢ ــ شاع على ألسنة بعض الناس قولهم لا حياء فى الدين وهذه عبارة خاطئة والصواب فيها لا حياء فى فهم الدين .

٣ ــ كان الرسول (ﷺ) يأخذ نفسه بالحياء ويأمر به ويحث عليه ومع ذلك فلا يمنعه الحياء من حق يقوله أو أمر دين يأمر بفعله فالحياء الذى يمنع من قول الحق أومن أمر بالمعروف والنهى عن المنكر لايسمى حياء وإنما يسمى ضعفا وتخاذلا ومع هذا فان الحياء يجب أن يكون ملازما للمؤمن فى كل شئون حياته وفى هذا المعنى يقول القائل :

يعيش المرء ماستحيا بخير ويبقى العود مابقى اللحاء
فلا والله مافى العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

وفى هذا القدر الكفاية وبالله التوفيق ومنه الهداية

---

(١) البذاء : الفحش فى القول
(٢) أخرجه الترمذى وأبن ماجة وأحمد

الحديث السادس و العشرون

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : " كلكم راع و كلكم مسئول عن رعيته فالإمام راع و مسئول عن رعيته و الرجل فى أهله راع و هو المسئول عن رعيته و المرأة فى بيت زوجها راعية و هى مسئولة عن رعيتها ، و الخادم فى مال سيده راع و هو مسئول عن رعيته قال فسمعت هؤلاء من النبى (ﷺ) ، و أحسب النبى (ﷺ) قال : و الرجل فى مال أبيه راع و مسئول عن رعيته ، فكلكم راع و كلكم مسئول عن رعيته "

و فى رواية مثله إلا قوله " الرجل فى مال أبيه " و فى أخرى " و العبد راع فى مال سيده و هو مسئول "

(متفق عليه – أخرجه البخارى و مسلم)

الراوى الأعلى للحديث :

عبد الله بن عمر بن الخطاب صحابى جليل أحد العبادلة الأربعة هاجر مع أبيه إلى المدينة و هو صغير و شاع بين الناس أنه أسلم قبل أبيه لكنه قد أسلم مع أبيه أو بعده ، لم يشهد بدرا ولا أحدا لأنه كان لا يزال صغيرا و حضر الخندق إذ كان سنه خمس عشرة سنة و كانت أول مشاهدة.

كان قوى الفطن ، عظيم الذكاء و قصة النخلة تؤكد ذلك و خلا جنتها أن رسول الله (ﷺ) قال لأصحابه ذات يوم " أن من الشجر شجرة لا يسقط وراقها فهى مثل المسلم فحدثونى ما هى ؟ فوقع الناس فى شجر البوادى – و كان فى القوم أبو بكر و عمر و غيرهما فكان هو الذى فطن إليها – فوقع فى نفسه إنها النخلة و لم يتكلم حياءا لأن فى القوم من هو أسن منه فلما خرج أخبر أباه بذلك فقال له : لو قلتها لرسول الله (ﷺ) لكان أحب إلى من كذا و كذا " (١).

---

(١) متفق عليه

و هذه القصة تكشف لنا أول ما تكشف عنه الأدب الراقى الذى أتصف به أصحاب النبى (ﷺ). أما عن حفظه فكان قوى الذاكرة بشكل ملحوظ يؤكد ذلك إنه لما أختلف " أبو بكر" و"عمر" احتج " عمر "بقول الرسول (ﷺ) "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا منى دماءهم و أموالهم " (١)
لم يجد أبو بكر إلا قياس الزكاة على الصلاة أو أخذها من عموم حق الإسلام. و لكن أبن عمر – ذلك الفقيه – قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : " حتى يقولوا " " لا إله إلا الله و يقيموا الصلاة و يؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دمائهم و أموالهم فكان يؤيد راى " أبو بكر" فى قتاله للمرتدين و كان أبن عمر رضى الله عنهما شديد التتبع لآثار رسول الله (ﷺ) لأبعد الحدود فى السفر و فى الحضر و فى أمور الحياة كلها و لذلك أثنى عليه رسول الله (ﷺ) بالصلاح و التقوى فقال (ﷺ) " إن عبد الله رجل صالح " أو ارى عبد الله رجلا صالحا "(٢) له فى الصحيحين ثمانون و مائتا حديث " توفى قريبا من مكة بعد فراغه من الحج بعد العام الرابع و السبعين من الهجرة ".

وقفة مع لغويات الحديث

١ ــ راع : أى حافظ وملتزم بإصلاح ماقام عليه ورعايته رعاية كاملة .
٢ ــ مسئول عن رعيته : راعى لحقوقهم محافظ عليها ويتقى الله فيها .
٣ ــ أهله : زوجته وغيرها والكلم تطلق ويراد بها الأهل جميعا وقد يراد بها الزوجة فقط كقوله (ﷺ) " خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى " (٣)

٤ – مسئولة عن رعيتها : قائمة محافظة بما ألزمها الله به و هذا يؤكد احترام الإسلام للمرأة.

---

(١) متفق عليه
(٢) متفق عليه
(٣) أخرجه الترمذى وأبن ماجة

شرح الحديث:

هذا الحديث عظيم الشأن له خطره فى التركيز على الحياة الإجتماعية و إسعاد الجماعات البشرية فهو يشير إلى أن الحياة ليست وحدات متناثرة مهملة لا يتصل بعضها ببعض ، و لا يسأل بعضها عن بعض ، وإنما هى وحدات متساندة متضامنة دعامتها التعاون فى القيام بالحقوق والواجبات والإحسان فى الأعمال والرعاية لماتحت اليد من نفوس وأموال ومصالح ، ويشير إلى أن كل إنسان تم رشده وكملت أهليته قد وكل إليه شأن من شئونها يدبره ويرعاه كل بحسب مركزه فى أمته وبيئته وسيسأل عنه أمام الله وأمام الأمة وأمام الأبناء والأحفاد . قال تعالى " ونكتب ما قدموا وءاثارهم وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين " (١)

وقد صور لنا الرسول (ﷺ) هذه الرعاية فى جانبين من جوانب الأمة هما منها بمنزلة الرأس من الجسد .

أحدهما : جانب الرياسة الكبرى ويمثلها الحاكم فى مملكته .

والآخر : جانب الرياسة الصغرى ويمثلها أعضاء الأسرة فى البيت .

فالحاكم وكل إليه شأن الأمة يدبر أمرها ، ويحفظ حقوقها ويقيم أعوجاجها والعدل فيها ويصلح شأنها ويطمئنها بالقضاء على عوامل الشر والفساد ، وهو مسئول عن كل شىء فيها وعن كل فرد منها .

ومن هنا كان أولى الأمر فى الإسلام لهم منزلتهم وخطرهم وطاعتهم واجبة على الرعية مالم يؤمروا بمعصية لقوله (ﷺ) " لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق " (٢) والقرآن الكريم حينما تكلم عن طاعة أولى الأمر جعلها داخلة فى طاعة الله ورسوله وذلك فى قوله تعالى " أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم " (٣)

---

(١) سورة يس آية (١٢)
(٢) أخرجه أحمد والترمذى
(٣) سورة النساء اية (٥٩)

فلم يقل وأطيعوا أولى الأمر منكم وذلك للتنبيه على أن طاعتهم مشروطة بطاعة الله ورسوله وهذا هو أبو بكر – الخليفة الأول – وأفضل الناس على الإطلاق بعد الأنبياء يترجم هذه القاعدة أى عملا عظيم وسلوك قويم يرسم له حقيقة الديمقراطية بمعناها الصحيح وبمفهومها الواضح فيقول فى أول بيان له يعلنه على الأمة بعد توليه القيادة " أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم " ولم يكتف بذلك إنما وضع قاعدة أخرى تجعل المجتمع المسلم يعيش تحت مظلة من العدالة الكاملة فيقول " أيها الناس إن القوى فيكم ضعيف عندى حتى أخذ الحق منه والضعيف فيكم قوى حتى أخذ الحق له "

هذا بالنسبة للحكام وأستطيع أن أقول بعد ذلك إن كل إنسان مسئول فهو حاكم فى حدود ما يملك من سلطة ، ومسئولية الآباء عن الأبناء من أكبر المسئوليات التى حرص الإسلام عليها بالتوجيه الصحيح وبالنصيحة المخلصة يلتئم شمل الأسرة ، وهل المجتمع المسلم كله إلا أسرة واحدة بل هو رجل واحد ، وذلك هو الذى أكده النبى(ﷺ) فى قوله " مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوا تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى "[1] وبقدر الترابط بين أفراد الأسرة الواحدة وأفراد المجتمع الواحد يكون نجاح المجتمع المسلم فى كل زمان ومكان وتأتى المرأة بعد ذلك لتكون مسئولة فى بيت زوجها وهى مسئولية كبرى تقوم على الصدق والأمانة وحسن التربية والتصرف وفى هذا يقول القائل :

والأم مدرسة إذا أعددتها   أعددت شعبا طيب الأعراق

وتربية الأبناء تأتى فى مقدمة هذه المسئولية فأبناء اليوم هم رجال الغد وشباب المستقبل وكذلك الخادم : أقامه الله فى خدمة صاحبه ووكل إليه العمل فى شئونه الخاصة وكلفه الإحسان والأمانة والاخلاص

---

(١) متفق عليه

والولد : جعله الله خلفا عن أبيه يحفظ المال ويرعى الأسرة وبين هذين الجانبين درجات متعددة فى الرعاية والمسئولية فالعمدة راع فى بلده ومسئول عن رعيته والمدير راع فى مديريته ومسئول عن رعيته ، والمدرس راع فى فصله ومسئول عن رعيته ، والناظر راع فى مدرسته ومسئول عن رعيته ، والصانع راع فى معمله ومسئول عن رعيته والفلاح راع فى أرضه ومسئول عن رعيته ، وكل من ولى أمر المسلمين شيئا فهو إمامهم فالحاكم فى حكمه إمام والقاضى فى موقع قيادته إمام ، والرجل فى بيته مسئول والكل مسئول عن رعيته .

وفى هذا تتجلى عظمة الإسلام أن جعل كل شخص مسئول عن من ولى عليهم سواء من المسلمين أوغير المسلمين من أهل الكتاب وغيرهم وفى هذا عظمة الإسلام الذى يراعى حق الإنسان على نفسه وعلى غيره وهكذا كل رئيس فى مصلحة أوعمل فكلكم راع ومسئول عن رعيته .

قوله(ﷺ) " كلكم راع " أى حافظ ملتزم بإصلاح ماقام عليه وهو ماتحت نظره من الرعايا

وهى الحفظ يعنى كلكم مستلزم بحفظ ما يطلب به من العدل إن كان والياً ومن عدم الخيانة إن كان مواليا عليه . "وكل " راع " " مسئول عن رعيته " فى الآخرة فكل من كان تحت نظره شيء فهو مطلوب بالعدل فيه ، والقيام بمصالحه فى دينه ودنياه ومتعلقات ذلك فإن وفىّ ماعليه من الرعاية حصل له الحظ الأوفر والجزاء الأكبر وإلا طالبه كل واحد من رعيته بحقه فى الآخرة .

ما يستنبط من الحديث

١ ــ المسئولية فى الإسلام عامة وشاملة شمولا تاما .

٢ ــ الإسلام يربى أبناءه على أداء الواجبات والتعاون فى ظل قول الحق جل شأنه " وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الإثم والعدوان " (١)

٣ ــ أتقان العمل والإخلاص فيه من أهم الأمور التى أهتم بها الإسلام وأكد ذلك قول الحبيب (ﷺ) إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه ".

٤ ــ المسئولية هى المسئولية كمعناها العام لا فرق بين الكبير والصغير مادام منطبقا بالقيام بها .

٥ ــ البناء واحد أعلاه كأسفله فإذا وقع من بناءه شيئا يتأثر البناء كله ويرجح هذا قول

---

(١) سورة المائدة آية (٢)

الشاعر :

ولايبلغ البنيان يوما تمام   إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

٦ ــ إن الله سائل كل راع عما استرعاه " أحفظ أم ضيع " ، ويرحم الله عمر بن الخطاب الذى كان يقول " والله لو عثرت بغلة فى العراق لخشيت أن يسألنى الله عنها لما تصلح لها الطريق ياعمر

وقد مربنا ذلك فى حديث سابق وهذا الحديث يحتاج إلى كلام كثير ولكن فىهذا القدر الكفاية و بالله التوفيق ومنه الهداية

الحديث السابع والعشرون

عن أبى فراس الربيع بن زياد رحمه الله قال : خطبنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال فى خطبته : " إنى لم أبعث عمالى ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أسوالكم فمن فعل به ذلك فليرفعه إلى أقصه منه فقال عمرو بن العاص :
لو أن رجلا أدب بعض رعيته أتقصه منه ؟ قال : أى والذى نفسى بيده أقصه وقد رأيت رسول الله (ﷺ) أقص من نفسه "   (أخرجه أبوداود)

الراوى الأعلى للحديث

قيل هو الربيع بن زياد بن أنس الحارثي و كنيته أبو فراس ، و قيل إنه يكنه أبو عبد الله أو أبو عبد الرحمن ، و قد روى عنه مجلد و قتادة و ذكره الشعبى فى بعض أخباره. و يبدو أن هذا الراوى لم يكن مشهورا شهرة كبيرة عند علماء الحديث لكن هذه الروايه و أمثالها ليست غريبة عن عمر بن الخطاب فإن العدل كان فيه طبيعة خلقه الله عليها أما أبو نصرة (بفتح النون و سكون الضاد المعجمة) هو المنذر بن مالك بن قطعة العوقى.

وقفة مع لغويات الحديث :

١ – (أبشاركم) أجسامكم و هى مأخوذة من البشرة و منهى سمى البشر بشرا و ذلك إذا يباشر الخطأ حين و الصواب حين آخر.
٢- (أقصه منه) قال فى القاموس : أقص الأمير فلانا من فلان أقتص له منه و القصاص هو أخذ الحق من المعتدى للمعتدى عليه. و القصاص بصفة عامة لونا من ألوان العدل التى أكدها الإسلام قال تعالى " و لكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون " (١)
٣- (أقص من نفسه) قال فى القاموس : أقص الرجل من نفسه بمعنى أنه مكن غيره ليقتص منه و إمام الأئمة فى ذلك هو رسول الله (ﷺ) الذى قال على ملأ من الناس " من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهرى و من كنت شتمت له عرضا فهذا عرضى و من كنت أخذت له مالا فذا مالى و لا يخف الشحناء فإنها ليست من شأنى ".

(١) سورة البقرة اية (١٧٩)

شرح الحديث:

أبدأ بهذه العبارة التى قالها عمر بن الخطاب " رأيت رسول الله (ﷺ) يعطى القود من نفسه و أنا أعطى القود من نفسى ". قال الشافعى و هذا الحديث أصلا يحتج به فى القصاص فيما دون النفس و يؤكد هذا ما رواه الإمام النسائى بسنده عن محمد بن هلال عن أبيه عن أبى هريرة قال: " كنا نقعد مع رسول الله (ﷺ) فى المسجد فإذا قام قمنا فقام يوما و قمنا معه حتى إذا بلغ وسط المسجد أدركه أعرابى فجبذ بردائه من ورائه و كان رداؤه خشنا فحمر رقبته فقال يا محمد أحمل لى على بعيرى هذين فانك لا تحمل لى من مالك و لا من مال أبيك فقال رسول الله (ﷺ) لا و أستغفر الله لا أحمل لك حتى تقيدنى مما جبذت برقبتى فقال الأعرابى ولاوالله لا أقيدك (١) ، فلما سمعنا قول الأعرابى أقبلنا إليه سراعا فالتفت إلينا رسول الله (ﷺ) فقال عزمت (٢) على من سمع كلامى أن لا يبرح مقامه حتى آذن له فقال رسول الله (ﷺ) لرجل من القوم يا غلام أحمل له على بعير شعيرا و على بعير تمرا ثم قال رسول الله (ﷺ) : انصرفوا "(٣)

و فى هذا الحديث و أمثاله درسا كبيرا للذين يقومون بتوجيه الناس و خاصة فى مجال الدعوة فعليهم أن يتصفوا بالصبر الجميل و حسن الخلق و أن يعرفوا كيف تحل المشاكل فى جو من الهدوء و راحة النفس تحت هذه المظلة الكبيرة و هذا البناء العظيم الذى أقامه محمد (ﷺ) من العفو عن الجهلاء و كيف أنه كان خيرا من ترجم القرآن إلى عمل و تمسك بقوله تعالى " خذ العفو و أمر بالعرف و أعرض عن الجاهلين " (٤)

و هنا تكون الأسوة الحسنة التى نعانى كثيرا من البعد عنها فى هذه الأيام و لكن لابد من العودة إلى عمر مرة أخرى ذلك الإمام العادل و الخليفة الراشد الذى تمسك بسنة رسول الله (ﷺ) إلى أبعد حدود التمسك و لا غراب فى ذلك فهم أوعية الوحى و حملة الرسالة

---

(١) أمكنك من أخذ حقك

(٢) أقسمت

(٣) أخرجه النسائى و أبو داود

(٤) سورة الأعراف اية (١٩٩)

و مبلغوا الدعوة ولا ينسى التاريخ أبدا ما قاله الصديق الخليفة الأول " و الله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها لرسول الله (ﷺ) لقاتلتهم عليه "[١].

و الرسول (ﷺ) كان خير مثالا للأخلاق الكريمة ولا سيما خلق العفو فهو القائل لأهل مكة " أذهبوا فأنتم الطلقاء " ، و هو الذى قال له ربه : " أنك لعلى خلق عظيم "[٢]، و قالت عنه عائشة إجابة لمن سألها عن أخلاقه : " كان خلقه القرآن "[٣] (ﷺ) و كيف لا و هو القائل عن نفسه " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " و فى رواية الإمام أحمد " صالح الأخلاق " و رواية الإمام مالك " حسن الأخلاق ". و الحديث الذى بين أيدينا آية من أكبر الآيات فى عدل عمر بن الخطاب لأنه يعلم خطر المسئولية عن أمة الإسلام و لسان حاله يقول ما قاله رسول الله (ﷺ) " كلكم راع و كلكم مسئولا عن رعيته " ، و كذلك قوله (ﷺ) : ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولا لا يفكه إلا العدل أو يوبقه [٤] الجور "[٥].

---

(١) أخرجه النسائى و أحمد
(٢) سورة القلم اية (٤)
(٣) اخرجه أحمد
(٤) يوبقه أى يهلكه
(٥)أخرجه أحمد

ما يؤخذ من الحديث :

١- على الحاكم أن يهتم بأمر رعيته فى كل شيء و لا سيما فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر.
٢- منزلة العدل و المساواة فى الإسلام ، أنهما سببا للأمن و الأمان فى منطق الإسلام .
٣- المساواة فى القصاص و أثره فى تحقيق العدالة.
٤- وجوب الأهتمام لمن يتولى أمرا من أمور المسلمين سواء كان هذا الأمر صغيرا أم كبيرا.
٥- على الوالى أن ينصح رعيته فى حدود أوامر الشرع و ذلك عملا بقوله (ﷺ) " الدين النصيحة " (الحديث)[١] و ذلك إذا وقع منهم ما يخالف الشرع.
٦- حرص ولاة المسلمين على إقامة العدل بين الرعية.
٧- على كل مسلم أن يتأسى برسول الله (ﷺ) و أصحابه فى كل شأن من شئون حياته.

وفى هذا القدر الكفاية وبالله التوفيق ومنه الهداية

(١) متفق عليه

الحديث الثامن والعشرون

عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله (ﷺ) " عشرة من الفطرة قص الشارب وإعفاء اللحية ، والسواك واستنشاق الماء ، وقص الأظافر ، وغسل البراجم ، ونتف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء " قال زكريا قال مصعب ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة زاد قتيبة قال وكيع انتقاص الماء يعنى الاستنجاء " (أخرجه مسلم)

الراوى الأعلى للحديث

سبق ترجمته

وقفة مع لغويات الحديث

١ ـــ (الفطرة) معناها السنة أوالدين أوالطبيعة التى خلق الناس عليها قال تعالى " فطرة الله التى فطر الناس عليها " [١] وتكون بمعنى الإسلام كقوله (ﷺ) كل مولود يولد على الفطرة (حديث) [٢] .

٢ ـــ (الاستنشاق) وضع الماء فى الأنف لتنظيفها وكذلك الإستنثار وهو إخراج الماء من الأنف بعد الإستنشاق وهى ماتسمى الشهيق والزفير .

٣ ـــ (البراجم) : بفتح الباء وكسر الجيم : جمع (برجمة) بضمهما وهى عقد الأصابع ومفاصلها وقيل هى المفاصل بصفة عامة وقيل أن البراجم تتبع الأماكن الغائرة فى الجسم حتى يصل الماء إليها .

شرح الحديث

هذا الحديث اشتمل على مجموعة من الخصال الطيبة التى تجعل المسلم لطيفا فى نفسه ، نظيفا بين إخوانه وفطرة الإنسان تقتضى وجود هذه الأشياء ، ومن هنا حرص الإسلام على بيانها والاهتمام بها ولنا القدوة الحسنة فى رسول (ﷺ) قوله (عشرة من الفطرة) :

(١) سورة الروم أية (٣٠)
(٢) متفق عليه

(عشرة) مبتدأ ، (من الفطرة) خبرا وجاز الابتداء به مع أنه نكرة لأنه على تقدير مضاف وهو عشر خصال من الفطرة وقص الشارب وما بعده بدلا أوخبر لمبتدأ محذوف أى هى ولايمنع أن يقترن الواجب بغيره كما قال عز وجل " كلوا من ثمره إذا أثمر وءاتوا حقه يوم حصاده .." [١] الأمر الأول وهو لإباحة الأكل ، والثانى (وءاتو حقه يوم حصاده) فهو للوجوب لأنه يتعلق بالزكاة وكذلك الحديث الذى معنا لامانع أن يقترن فيها الواجب بغيره وهذا يؤكد لنا أن القرآن والسنة قد تربع كل منهما على عروش البلاغة دون منازع . وفى هذا يقول القائل :

الله أكبر إن دين محمد   وكتابه أقوى وأقوم قيلا

لاتذكروا الكتب السوالف عنده   طلع الصباح فأطفؤا القنديلا

وتفصيل ذلك فى الحديث أن الختان واجب عند الشافعى وكثير من العلماء وسنة عند مالك وأكثر العلماء ، وهو عند الشافعى واجب على الرجال والنساء جميعا . ولكنى أتفق مع الشافعى فى أنه واجب بالنسبة للرجال ومستحب بالنسبة للنساء ويؤكد ذلك حديث أم عطية وهو قوله (ﷺ) " اقطعى ولاتنهكى فإنه أندر للوجه وأحظى عند الزواج " والأمر هنا للإباحة وليس للوجوب كل ما هنالك أنه يجب أن تتم هذه المسألة بأسلوب صحيح وهو قطع جزءا صغير عند المرأة ولايضر بقية العضو . [٢] والناس فى هذا الأمر فريقان فريقا تشدد وقال بالوجوب وفريقا تساهل وقال لاداعى مطلقا والحق الذى أستريح إليه أن خير الأمور الوسط ولكل بيئة ظروفها وأحوالها التى تستقل بهما عن غيرهما . وأما الاستحداد فهو حلق العانة وسمى بذلك لإستعمال الحديدة وهى الموس ، وهو سنة والمراد به نظافة ذلك الموضع والأفضل فيه الحلق . والمراد بالعانة الشعر الذى فوق ذكر الرجل وحواليه وكذلك الشعر الذى حول فرج المرأة .

وأما تقليم الأظافر فسنة ليس بواجب وإن كان قصه أولى حتى لاتكون موضعا لدخول الأتربة تحتها وبالتالى تكون الجراثيم والميكروبات التى لاتكون فى مصلحة الانسان وهو تفعيل من التقليم و هو القطع ويستحب أن يبدأ باليدين قبل الرجلين .

---

(١) سورة الأنعام اية (١٤١)

(٢) إذا احتيج إلى ذلك

واما نتف الإبط فسنة بالاتفاق والأفضل فيه النتف لمن قوى عليه ويحصل أيضا بالحلق .
وأما قص الشارب فسنة أيضا ويستحب أن يبدأ بالجانب الأيمن وهو مخير بين القص بنفسه وبين أن يولى غيره القيام له بذلك وأما روايات (أحفوا الشوارب) "[١] فمعناها : ماطال على الشفتين والله أعلم وأما إعفاء اللحية فمعناها : توفيرها وهى معنى أوفوا اللحى والحق الذى ذهب إليه جمهور العلماء ان إعفاء اللحية سنة .
" والسواك " هو لغة بمعنى الدلك وشرعا كل ما ينظف الفم والأسنان كاستعمال العود ونحوه كأشنان[٢] وصابون فى الأسنان وما حولها ليذهب الصفرة وغيرها . وقد ورد فى فضل السواك أحاديث كثيرة لايتسع المقام لذكرها ومنها قوله (ﷺ) : " لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة "[٣] وكذلك قوله " السواك مطهرة للفم مرضاة للرب"[٤] . أما عن فوائد السواك فهى :

١ ــ يطهر الفم ويرضى الرب

٢ ــ يبيض الأسنان ويطيب رائحة الفم .

٣ ــ يسوى الظهر ويضاعف الأجر ويسهل القرع ويذكر الشهادة عند الموت

٤ ــ فى العصر الحديث يوصى الأطباء باستعمال السواك لمنع فحر الأسنان .

أما (استنشاق الماء) أى إدخال الماء فى الأنف وجذبه بنفسه إلى داخل أنفه والإستنثار · هو دفع الماء بنفسه مع وضع أصبعيه السبابة والإبهام من يد اليسرى على أنفه والاستنشاق سنة مؤكدة لقوله (ﷺ) " أسبغ الوضوء وخلل بين الأصابع وبالغ فى الاستنشاق ــ إلا أن تكون صائما " [٥]

---

(١) متفق عليه

(٢) الاشنان هى المناديل

(٣) متفق عليه

(٤) أخرجه البخارى والنسائى وأحمد وأبن ماجة والدرامى

(٥) أخرجه أبوداود والترمذى

(وأما غسل البراجم) فسنة مستقلة ليست مختصة بالوضوء وهى عقد الأصابع ومفاصلها وقال العلماء : ويلحق بالبراجم مايجتمع من الوسخ فى معاطف الأذن وهو الصماخ فيزيله بالمسح لأنه ربما أضرت كثرته بالسمع وكذلك مايجتمع فى داخل الأنف وجميع الوسخ المجتمع على موضع كان من البدن بالعرق والغبار وغيرهما .

أما " انتقاص الماء " فقد فسره وكيع بأنه الإستنجاء وقال أبو عبيدة وغيره : معناه انتقاص البول بسبب استعمال الماء فى غسل مذاكيره .

وأما قوله ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة فهذا شك منه فيها ، قال القاضى عياض ولعلها الختان المذكور من الخمس .

مايؤخذ من الحديث

١ ــ هذا الحديث يضع البرنامج الصحيح لنظافة المسلم ولو تخيلنا مسلما لايؤخذ بهذه الأشياء ولا يلزم نفسه به لكان بعيدا عن انفطرة بكل المقاييس .

٢ ــ إن الله ميز الإنسان على غيره من الحيوانات .

٣ ــ تعاليم الإسلام سبقت العلم الحديث فى هذا المضمار وهذا يؤكد أن الإسلام هو دين الحضارة والتقدم والرقى بالإنسان المسلم بكل المقاييس وفى كل المجالات .

٤ ــ حماية الإسلام للصحة البدنية العامة وكذلك الصحة النفسية .

٥ ــ حث الإسلام على طهارة الباطن قبل الظاهر وهل الإسلام فى مجموعه إلا طهارة للباطن والظاهر .

٦ ــ الوقاية خير من العلاج وهذا مبدأ عرفته البشرية فى مختلف العصور قديما وحديثا ونشىء عنه قولهم " سلامة الأبدان مساوية لسلامة الأديان "

٧ ــ الحديث بصفة عامة يأمر المسلم بالنظافة بكل معانيها الحسية والمعنوية .

وفى هذا القدر الكفاية وبالله التوفيق ومنه الهداية

الحديث التاسع والعشرون

عن بن مسعود رضى الله عنه قال : كان رسول الله (ﷺ) يعلمهم من الدعاء بعد التشهد :

اللهم ألف بين قلوبنا ، وأصلح ذات بيننا ، واهدنا سبل السلام ، ونجنا من الظلمات إلى النور ، وجنبنا الفواحش والفتن ، ماظهر منها وما بطن وبارك لنا فى أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وأزواجنا وذريتنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها قابليها وأتمها علينا" (أخرجه أبوداود)

الراوى الأعلى للحديث

سبق الحديث عنه

وقفة مع لغويات الحديث

١ ــ ألف بين قلوبنا : أى أوقع الألفة بينهم عطاءا منك وفضلا قال تعالى " وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم " [١]

٢ ــ أصلح ذات بيننا : تعنى العلاقات التى تكون بيننا اجعلها صالحة مستقيمة على منهجك .

٣ ــ اهدنا سبل السلام : جمع سبيل أى طرق السلامة التى توصل إلى الخير فى الدنيا والآخرة وهل الإسلام إلا السلام .

٤ ــ الفواحش : أى الكبائر كالزنا والسرقة وقذف المحصنات وغيرها .

٥ ــ ما ظهر منها وما بطن : يعنى ماكان منها فى السر والعلانية قال تعالى يمدح المؤمنين " الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة " [٢]

٦ ــ أتمها : أكملها واجعلنا أهلا لها قال تعالى " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا " [٣]

---

(١) سورة الأنفال اية (٦٣)

(٢) سورة النجم اية (٣٢)

(٣) سورة المائدة اية (٣)

شرح الحديث

هذا الحديث يشتمل على جملة من أعظم الأدعية التى جاءت على لسان الحبيب (ﷺ) وعلمها لأمته من أجل ذلك أرى أن أقف معها وقفة التزم فيها بما قال النبى (ﷺ) فإنها أدعية جمعت الخير كله .

وكان الرسول (ﷺ) يعلم أصحابه من الدعاء بعد التشهد " اللهم ألف بين قلوبنا " أى أوقع الألفة بينها وأجعل بينها الإيناس والمودة والتراحم ، " وأصلح ذات بيننا " أى أحوال بيننا " قال فى المجمع " ذات الشىء نفسه وحقيقة والمراد ما أضيف إليه ومنه إصلاح ذات البين أى إصلاح أحوال بينكم حتى يكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق وقال ولما كانت الأحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين ، " وأهدنا سبل السلام " اى دلنا على طريق السلامة من الآفات أو على طرق دار السلام الجنة ، " ونجنا من الظلمات إلى النور " أى أنقذنا من ظلمات الدنيا إلى نور الآخرة ، أو من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة ، أو من ظلمات الجهل إلى نور العلم والمعرفة ، " وجنبنا الفواحش ماظهر منها وما بطن " أى أبعدنا عن القبائح الظاهرة والباطنة فإنا عاجزون عن التنزه عنها ورفع الهمم عن مواقعها ، وإن اجتهدنا بما جلبنا عليه من الضعف وتسلط الشيطان علينا فلا قوة لنا إلا بك ولاحول لنا إلا بأرادتك سبحانك ياذا الجلال والإكرام ، ياذا الطول والإنعام الناس يسيئون وأنت تحسن إليهم ، العباد يذنبون وأنت تعفو ، الخلق يعرضون وأنت تتحبب إليهم ، شرهم إليك صاعدا وخيرك إليهم نازل من تقرب إليك شبرا تقربت منه ذراعا ، ومن تقرب منك ذراعا تقربت منه باعا ، ومن أتاك يمشى أتيته هرولة ، وصببت عليه من رحمتك ورضوانك .

" وبارك لنا فى أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وأزواجنا وذرياتنا وتب علينا " : طلب التوبة أثر الحسنة كما هو مطلب العارفين بالله و عادة الله سبحانه وتعالى التفضل على عباده .

والتوبة مطلوبة من كل ذنب ، مشروعة من كل خطيئة والله سبحانه وتعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل و هكذا حتى تطلع الشمس من مغربها .

ومن فضل الله ورحمته أنه يقبل توبة الإنسان إذا تاب توبة خالصة ، فإذا تاب الإنسان ورجع إلى ربه أنسى الله الحفظة ذنوبه ، وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض حتى يلقى الله تعالى يوم القيامة وليس عليه شاهد بذنب وإذا تيقظ الضمير وفطنت النفس إلى ما يجب أن تكون عليه وحاولت إصلاح الخطأ الذى وقعت فيه كان ذلك توبة يفرح الله بها ويغفر الذنب من أجلها قال تعالى " والذين إذا فعلوا فاحشة أوظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ــ أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين " [١]

" إنك أنت التواب " أى الرجاع بعباده إلى مواطن النجاة بعدما سلط عليهم عدوهم بغوايتهم ليعرفوا فضل الله عليهم وعظيم قدرته ثم أتبعه وصفا هو كالتعليل له فقال " الرحيم " أى المبالغ فى الرحمة لعباده .

" واجعلنا شاكرين " قال تعالى : لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد "[٢]

" لنعمتك " أى إنعامك علينا .

" مثنين بها قابليها وأتمها علينا " : أسأل التوفيق لدوام الشكر لأن الشكر قيد النعم فيه تدوم وتبقي وبتركه تزول وتحول . قال تعالى " أن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم "[٣] فالحق تقدس ذاته إذا رأى عبدا قام بحق نعمته بالدوام على شكرها امتن عليه بأخرى إن رآه لها أهلا وإلا قطع عنه ذلك .

---

(١) سورة آل عمران آية (١٣٥ ، ١٣٦)
(٢) سورة إبراهيم آية (٧)

(٣) سورة الرعد آية (١١)

مايؤخذ من الحديث

١ ــ الدعاء مخ العبادة .
٢ ــ أكل الحلال سبب لإجابة الدعاء
٣ ــ من شروط الدعاء أن لايكون لقطيعة رحم .
٤ ــ الدعاء بما ليس فيه معصية .
٥ ــ على كل مسلم أن يكثر من الدعاء وأن يأمر غيره به .
٦ ــ إختيار الأوقات والأماكن التى يرجى فيها استجابة الدعاء .
٧ ــ أفضل الدعاء دعاء رسول الله (ﷺ) لأنه جامع مانع ولذلك قال العلماء والخير

كل الخير فى اتباع من سلف والشر كل الشر فى ابتداع من خلف وهل هناك قدوة فى الدنيا تصل إلى شخص بلغ القمة فى كل مجالات الحياة مثل رسول الله (ﷺ) اللهم لا

ولكن لابد أن نضع فى اعتبارنا أنه من أهم شروط الدعاء البعد كل البعد عن الذنوب وملازمة الدعاء فى الشدة والرخاء حتى لانصير كما قال القائل :

نحن ندعوا الإله فى كل كرب ثم ننساه عند كشف الكرب
كيف نرجوا إجابة للدعاء وقد سددنا طريقها بالذنوب

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وبالله التوفيق والهداية وما نبغى إلا رضاه سبحانه وتعالى

وفى هذا القدر الكفاية وبالله التوفيق ومنه الهداية

الحديث الثلاثون

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :قال رسول الله (ﷺ) " لاتحل الصدقة لغنى ولذى مرة سوى " (أخرجه الترمذى والنسائى وأبوداود وأحمد وابن ماجه والدرامى)

الراوى الأعلى للحديث

سبق الحديث عنه

وقفة مع لغويات الحديث

١ ــ (مرة) بكسر الميم وتشديد الراء ــ أى بمعنى قوة وقد جاء ذلك فى القرآن الكريم وصفا لجبريل قال تعالى " ذو مرة فاستوى " (١)
٢ ــ (سوى) : المراد صحيح سليم أى سوى الأعضاء وصحيحها .

شرح الحديث

" لاتحل الصدقة " الصدقة مستحبة فى جميع الأوقات وهى سنة أقرها الكتاب وبينتها السنة سلوكا وعملا فى حياة الرسول (ﷺ) والصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم ، وقد رغب الإسلام وحث عليها وفى الحديث يبعث المؤمن يوم القيامة فى ظل صدقته وقوله (ﷺ) فى الحديث المشهور الذى أخرجه الإمام مسلم " والصدقة برهان " وحديث السبعة الذين يظلهم الله فى ظل عرشه يوم لاظل إلا ظله ومنهم رجلا تصدق فأخفى حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه والرجل والمرأة فى هذا الأمر سواء وإضافة إلى ذلك فقد قال الله مرغبا فى الصدقة " من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة " (٢) . وأما السنة فقد ربط رسول الله (ﷺ) بين أفراد المجتمع كله فقال " أيما مؤمن أطعم مؤمنا على جوع اطعمه الله من ثمار الجنة

---

(١) سورة النجم اية (٦)
(٢) سورة البقرة أية (٢٤٥)

وإيما مؤمن سقى مؤمنا على ظمأ سقاه الله عز وجل يوم القيامة من الرحيق المختوم ، وأيما مؤمن كسا مؤمنا على عرى كساه الله من خضر الجنة " (١)

مايؤخذ من الحديث

١ ـــ الإسلام دين عمل لادين خمول وكسل وقد أخطأ الذين رفعوا هذا الشعار اليائس الهزيل فقالوا " الكسل أحلى من العسل " وأرى أن هذا الشعار سببا من أسباب تخلف المسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله .

٢ ـــ على المسلم أن يعمل قدر جهده ولايعرض نفسه لمزلة السؤال وذلك لأن كرامة المسلم تقتضى منه ألا يكون عالة على غيره قال تعالى " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله " (٢)

وأحب أن أنبه سنا إلى أمر خطير أن بعض الناس احترفوا التسول وتعددت أساليبهم وذلك حتى أصبحوا إلى جانب احتراف التسول محترفي النصب والتحايل ولايجوز للمسلم أن يعطيهم شيئا من الصدقة وأقول لو أن كل مسلم أعطى صدقته لأقاربه بالأسلوب الصحيح الذى لايمس كرامتهم ولا يخدش حياءهم لما وجدنا فى السجون قاتل ولا فى البيوت عاطل ولا فى الطريق سائلا ولأصبح المؤمنون بحق كمثل الجسد الواحد يشد بعضه بعضا .

٣ ـــ علينا أن نوجه القادر على العمل حسب استطاعته ومراعاة ظروفه وهو ما يقولون عنه الآن " وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب " وهى قاعدة لو أخذت به الأمة لأصلح الله لها أمر الدين والدنيا ومن العجيب أن يأخذ بعض الناس بحديث منسوب إلى رسول الله (ﷺ) وهو حديث من الأحاديث الموضوعة " أعطوا السائل ولو جاء على فرس "

---

(١) أخرجه أبوداود وأحمد

(٣) سورة التوبة اية (١٠٥)

ولوأخذ بهذا الحديث الموضوع لألغينا أهمية العمل ومنزلته فى الإسلام ولا يكون ذلك أبدا لأمة تنشد الرقى والتقدم بين الأمم .

وفى هذا القدر الكفاية وبالله التوفيق ومنه الهداية

خاتمة الكتاب

وبعد فهذه وقفات مع هذه الكوكبة المباركة من أحاديث رسول الله (ﷺ) أردت بها أن أقدم زاد لإخوانى الدعاة وأرجو أن يكون زاد ميسورا يستطيع به الداعية المسلم أن يتكلم كلاما صحيحا عن سنة رسول الله (ﷺ) وهل الإسلام فى جملته وتفصيله إلا الكتاب والسنة وإن بعض الناس يطيب لهم فى مجال الدعوة أن يذكروا الأحاديث الضعيفة وربما الموضوعة ليؤكدوا قضية معينة أو أمرا له أهميته وأقول لهؤلاء إن فى السنة الصحيحة غناءا عن ذلك حتى لانتعرض لنقض العوام أو أعتراضهم ولاسيما من يتصيدون الأخطاء ويقعدون بالطريق يلتمسون كل ساقطة ولاقطة فإلى العلم والعمل والفقه أيها الأخوة الدعاة يمضى ركبنا وتتحقق غايتنا وهى من أشرف الغايات وأكرمها فى الدنيا والأخرة إذا توجها الإخلاص وأحاط بها الصدق وهاتان الدعامتان من أقوى الدعائم التى تقوم عليها الدعوة وأرجو من كل داعية أن يتمثل هاتين الدعامتين فى حياته وأن يعلم علم اليقين أنه ماكان لله دام واتصل وماكان لغيره انقطع وأنفصل .

وإياك يا أخى الداعية أن يغرك ثناء الناس عليك فيدخل فى قلبك شيء من الغرور أو الكبر وإنما إذا مدحك إنسان لأمرٍ ما فتذكر تقصيرك فى أمور أخرى كثيرة وردد قول أبى بكر حينما كان يمدحه أحد الناس فكان يقول :

" اللهم اجعلنى خيرا مما يظنون ولا تؤاخذنا بما يقولون وأغفر لى ما لايعلمون "

نفعنا الله بالسنة وبارك لنا فى العلماء العاملين والسلام على من أستمع وانتفع والحمد لله فى الأولى والآخرة .

وصلى الله على سيدنا محمد امام الدعاة وأستاذ الأساتذة وعلى آله وصحبه وسلم

أنتهينا من الكتاب يوم غرة رجب سنة ١٤٢٣ هـ الموافق ٨ سبتمبر سنة ٢٠٠٢ م

المراجع

١ ـ القرآن الكريم .
٢ ـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبى .
٣ ـ الفخر الرازى لمحمد فخر الدين .
٤ ـ تفسير القرآن العظيم لإمام ابن كثير .
٥ ـ أحكام القرآن لأبن العربى .
٦ ـ صحيح البخارى بشرح الكرمانى .
٧ ـ فتح البارى بشرح صحيح البخارى .
٨ ـ صحيح مسلم بشرح النووى .
٩ ـ الفتح الربانى بشرح مسند الأمام أحمد .
١٠ ـ جامع العلوم والحكم لابن رجب .
١١ ـ منهاج السنة لابن يتمية .
١٢ ـ سنن الترمذى لإمام الترمذى
١٣ ـ سنن ابن ماجه لابن ماجه .
١٤ ـ بهجة النفوس لابن أبى جمرة .
١٥ ـ المختار من كنوز السنة للضياء المقدسة .
١٦ ـ بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد .
١٧ ـ المعاملات الشرعية لعلى الخفيف .
١٨ ـ أصول الفقه لمحمد الخضرى .
١٩ ـ دراسة تطبيق الشريعة لفتحى المرصفاوى .
٢٠ ـ الإسلام والنظرية الاقتصادية لمحمد عبد المنعم خفاجة .
٢١ ـ فقه المذاهب الأربعة للجزيرى .
٢٢ ـ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين " لابن القيم الجوزية " .
٢٣ ـ أحياء علوم الدين للإمام الغزالى .
٢٤ ـ منهج التربية الإسلامية لمحمد قطب .
٢٥ ـ خلق المسلم لمحمد الغزالى .

٢٦ ــ سنن أبوداود .
٢٧ ــ شرح عون المعبود لسنن أبى داود .
٢٨ ــ سنن الدرامى .
٢٩ ــ موطأ الأمام مالك .
٣٠ ــ اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة للسيوطى .
٣١ ــ المعجم الكبير للإمام الطبرانى .
٣٢ ــ صحيح ابن خزيمة .
٣٣ ــ صحيح ابن حبان .
٣٤ ــ مسند البزاز .
٣٥ ــ مسند أبو على .
٣٦ ــ سنن الإمام النسائى .
٣٧ ــ منهاج المسلم لأبو بكر الجزائرلى .
٣٨ ــ الحلال والحرام للدكتور يوسف القرضاوى .
٣٩ ــ مدخل إلى دراسة السنة للمؤلف السابق .
٤٠ ــ مختصر الترغيب والترهيب للدكتور القرضاوى .
٤١ ــ عقيدة المسلم للامام محمد الغزالى .
٤٢ ــ كيف نفهم الإسلام للامام محمد الغزالى .
٤٣ ــ الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير للدكتور محمد بن محمد شهبه .

كتب خاصة للمؤلف غير هذا الكتاب

من أهمها :

١ ـ الوصيف فى بيان الحديث الضعيف .
٢ ـ الروض الباسم فى سيرة أبى القاسم .
٣ ـ نظرات فى علوم السنة .
٤ ـ من هدى السنة فى أحاديث العبادات .
٥ ـ دروس وعبر فى سيرة خير البشر .
٦ ـ الكواكب الدرارى فى شرح جملة من صحيحى مسلم والبخارى .
٧ ـ الجواهر الحسان فى أحاديث الإيمان
٨ ـ من وحى السنة فى أحاديث الأحكام .
٩ ـ دليل القاصدين إلى مناهج المحدثين .
١٠ ـ الجواهر المنتقاة فى أحاديث الصيام والزكاة .
١١ ـ القول المبين فى مناهج المحدثين .

24

6

